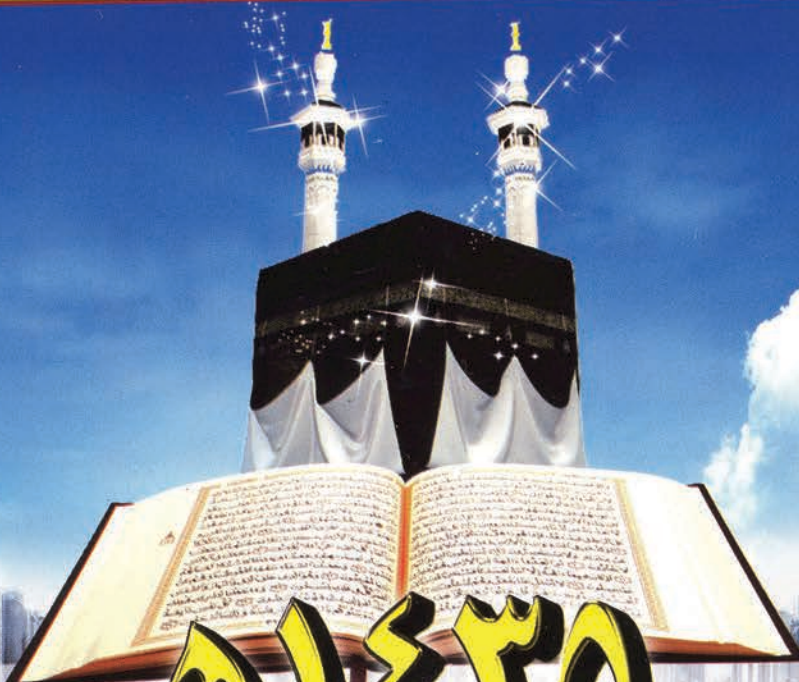
التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية ● تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٠٥ - السنة الثالثة والأربعون - محرم ١٤٣٥ هـ
الثمن جنيهان

عام جديد
بين المرارة والآمال !!



١٤٣٥ هـ

شهر الله المُحَرّم نفحة من نفحات الدهر

- صراط واحد لأمة واحدة
- حب الأوطان في ميزان الشرع
- التطبيق المعاصر للزكاة

السلام عليكم

الرسول صلى الله عليه وسلم خصيم القاتل يوم القيامة

مضى عام وانصرم، وهذا آخر قد قَدِم، من عُمُر الأفراد والأمم. والمرءُ بين مخافتين؛ بين أجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه، وما الذي سُجّل من حسنات وسيئات، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه؛ أيُخفقُ المرءُ أم يُوفّق، أيُختم له بخَير أم بشَرّ؟! ولن ينفع الإنسان إلا موازين من الحسنات ثقلت، ولن يُغني عن إنسانٍ فئته شيئًا ولو كثرت.

والكَيّسُ العاقل من دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت، والغافل العاجز مَنْ أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني.

فواتُ أيام وقدوم أخرى، وحياةُ أنام وموتُ آخرين؛ يجعل المرءَ يحاسب نفسه ليوم يقف بين يدي الله فينظر يمينه وشماله فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشقّ تمرة، ولو بكلمة طيبة.

حَرّم الله تعالى على المسلمين دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، كما حرم أيضا دماء أهل العهد والذمة، وجعل لهم البر والقسط والإحسان.

فمن قَتَل مستهينًا بالدماء شيئًا من ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمه وحجيجه يوم القيامة. فلينظر القاتل كيف يصنع يوم يُقضى في الدماء أول ما يُقضى.

وأقرب الناس منزلة ومجلسًا من النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة أحاسنهم أخلاقًا.

وكل إنسان على نفسه بصيرة، فاللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا.

جعل الله هذا العام عام خير وبركة وألفة واجتماع على الحق والعدل.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو



الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ ـ ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السنة الثالثة والأربعون / العدد : ٥٠٥ - محرم ١٤٣٥

في هذا العدد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جماعة أنصار السنة المحمدية

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي : q.tawheed@yahoo.com

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



افتتاحية العدد

صراط واحد لأمة واحدة



بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي هدانا إلى صراط مستقيم، وجعلنا أتباع نبيه الأمين، صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فالعالم الذي نعيش فيه اليوم يقوم على التكتلات الكبيرة؛ رغبةً في السيطرة والقوة على عالم اليوم، وأمة الإسلام التي هي خير أمة أُخرجت للناس أولى الأمم بالاجتماع والوحدة، وفي مطلع عام هجري جديد أتوجه إلى أمتي الإسلامية بدعوتهم إلى كلمة واحدة ومنهج واحد؛ كلمة التوحيد التي تقطع الشرك بكل صوره وأنواعه، وتوجب على الجميع التوجه إلى الله وحده دون سواه.

والمنهج الواحد؛ هو سلوك صراط الله المستقيم، وعدم الخروج على ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان، والمسلمون اليوم أولى الناس بالاجتماع على الحق، ونبذ التفرق والشقاق، والمتتبع لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة يجد كمًا هائلاً من النصوص يدعو إلى الاجتماع وينهى عن التفرق والاختلاف، حتى أصبح الأمر من البدهيات المسلَّمة عند كل مسلم.

واليوم أجدد الدعوة إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإلى جميع المؤسسات الإسلامية، والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية بضرورة الاجتماع على كلمة سواء، وعلى الحق الذي جاء من عند الله وحده، وسأسوق هنا بعضًا مما يدل على ذلك؛ لعل الأمة- أفرادًا وجماعات- يستفيدون منه، ويتركون التحزب والاجتماع على غير الحق:

أولاً: بعض أدلة القرآن الكريم الداعية إلى الوحدة والجماعة:

قال الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [آل عمران: ١٠٣]، وهذه الآية من أصرح الأدلة وأوضحها في دعوة المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله المتين، وقد تعددت الأقوال في المراد بالحبل، فقيل العهد، وقيل المراد به: الإسلام، وقيل: القرآن، ولا تعارض بينها، وقد ورد في صحيح مسلم وصف القرآن بأنه حبل الله، كما في حديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما: كتاب الله عز وجل، فهو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة». [مسلم: ٢٤٠٨].

وقد ذكر الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله أن الآية أمرت بالجماعة ونهت عن الفُرقة، ثم قال: «وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومُسلمة من عذاب النار، وهم الذين كانوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه». [تفسير ابن كثير: ١/٥٣٤].

ويظهر من هذا بوضوح: أن الذي يجمع بيننا ويوحد بين صفوفنا هو كتاب الله تبارك وتعالى، ومن اعتصم به كان آخذًا بالإسلام الذي بُعث به نبينا عليه الصلاة والسلام، فهو الحصن

الحصين لمن وفقه الله والتزم به، ويجب على كل مسلم أن يلبّي نداء الله تعالى بالاعتصام بحبله حتى يكون من أهل النجاة، وقد وعد الله من اعتصم به بالرحمة والجزاء الحسن، كما قال الله تعالى: «فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا» [النساء: ١٧٥]، والمعنى: يهديهم هداية خاصة توصلهم إلى الصراط المستقيم، ويبلغون بذلك الغاية بالسيادة والعزة في الدنيا، وأما في الآخرة فبالجنة والرضوان والنعيم المقيم.

وقد صدق الله للصادقين، فحقق لهم النصر والتمكين، وخاب وخسر من أعرض عن هذا الطريق من الآخرين، فلم يحدث لهم نصر ولا تمكين، وقد ذكر الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله أن المراد بقوله تعالى في الآية: «واعتصموا به» أي: بالقرآن، ثم ذكر أن من اعتصم به ستناله رحمة الله وجنته، وسيناله من الفضل ما نال أهل الإيمان الذين صدقوا بالرسول عليه الصلاة والسلام، وسيوفق لإصابة الفضل الذي تفضل الله به على أوليائه، ويسدد السلوك منهج من أنعم الله عليه من أهل طاعته، وهذا هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده. [انظر: تفسير الطبري ٢٧/٦].

ويلزم من الاعتصام بحبل الله ضرورة أن يتحرر المسلم من التحزب والتعصب لآراء وأقوال المذاهب والأشخاص المخالفة للحق الذي جاء من عند الله وحده، وأن يقيّد نفسه بالدليل، فإن لاح له الدليل بادر بالانقياد له والتسليم لحكمه، وإن كان ذلك على خلاف المذهب الذي يعتنقه، أو قول الإمام الذي يتبعه، أو الجماعة أو الحزب الذي ينتمي إليه؛ لأنه ليس لأحد قول بعد كلام الله وكلام رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، والحق أن يُتبع، والله تبارك وتعالى تعبدنا بما جاء في كتابه وما صح به الخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا أصل من أصول الدين، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الأمر بالاعتصام بحبل الله لزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج عليهم، وتبعهم على ذلك أئمة أهل السنة والجماعة، وهذا حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لسماك الحنفي: يا حنفي الجماعة الجماعة، فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ» [آل عمران: ١٠٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في خطبته: «أيها الناس؛ عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة». [تفسير الطبري ٢٢/٤].

وقال ابن شهاب: «بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنة نجاة». [جامع بيان العلم ٥٩٢/١].

وقال الطحاوي رحمه الله: «ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وضلالاً». [شرح الطحاوية ٧٧٥/٢].

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري رحمه الله: «علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق، كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة أصحابه رضي الله عنهم ومن

إن السبيل الوحيد لاجتماع الأمة الواحدة على صراط واحد هو أن تلتف هذه الأمة حول مصدر عزتها وتشريعها وسعادتها في الدنيا والآخرة «كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم».

تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء». [الشريعة ١/٣٠١].

وصية من الرب الكريم:

ومن الآيات الآمرة بلزوم الجماعة والناهية عن الفرقة في موضع واحد، قول الله تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [الأنعام: ١٥٣]، وهذه الوصية من الرب الكريم تعني اتباع صراط الله المستقيم والعمل به والسير على منهاجه، وهو صراط واحد لا اعوجاج فيه، وهو دين الله الذي شرعه لعباده، وترك كل السبل الأخرى الباطلة؛ لأنها ضلالات متراكمة موهنة للصف، مفرقة للأمة، والفرقة تقع في الأمة حينما تتعدد المناهج والطرق، ولذلك بيّن الله تعالى أن طريق الحق واحد، والسبيل إلى الاجتماع واحد، وهو السير على الصراط المستقيم لا غيرُ؛ لأن سلامة المعتقد ووحدة المنهج والسلوك يحقق للأمة الاجتماع على الحق، ولذلك نلحظ في الآية أن الله وحّد الصراط وأضافه إلى نفسه، لأنه السبيل الوحيد الموصل إليه.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «وقد أفرد الصراط المستقيم وهو سبيل الله، وجمع السبل المخالفة له؛ لأن الحق واحد والباطل ما خالفه وهو كثير، فيشتمل الأديان الباطلة من مخترعة وسماوية محرفة ومنسوخة، والبدع والشبهات، وبها فسرها مجاهد هنا، وقد نهى عن التفرق في صراط الحق وسبيله، فإن التفرق في الدين الواحد هو جعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب ينصرونه ويتعصبون له، ويخطئون ما خالفه، ويرمون أتباعه بالجهل والضلال، أو الكفر أو الابتداع، ولما كان اتباع الصراط المستقيم وعدم التفرق فيه هو الحق الموحد لأهل الحق الجامع لكلمتهم، كان التفرق فيه بما ذكر سببًا لضعف المتفرقين وذلهم وضياع حقهم، وبهذا التفرق حل بأتباع الأنبياء السابقين ما حل من التخاذل والتقاتل والضعف وضياع الحق، وقد اتبع المسلمون سننهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى حل بهم من الضعف والهوان ما يتألمون منه ويتململون». [تفسير القرآن الحكيم ٨/١٩٦].

ويكفي أن نعلم أن السبل المخالفة للحق المؤدية إلى التفرق والاختلاف يقف على رأس كل سبيل منها شيطان، كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده، ثم قال الله: «هذه سبيل الله مستقيمًا»، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ» [الأنعام: ١٥٣]. [رواه أحمد وغيره، وحسنه الشيخ الألباني في ظلال الجنة (١٧)].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله صلى

من دلائل توفيق الله تعالى لعبده وإكرامه له: اتباعه لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسنة رسوله الكريم المؤيد بالدلائل الواضحات والمعجزات الباهرات.

الله عليه وسلم قال: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعن جَنْبَيْ الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يدعو: يا أيها الناس هلموا ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا ولا تتفرقوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم». رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٧).

وقد فهم سلف هذه الأمة من ذلك ضرورة لزوم صراط الله المستقيم والسير عليه، وترك البدع والضلالات والسبل المنحرفة، لأنها كلها معارضة للصراط الواحد المستقيم، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «إنما وحد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها». [تفسير ابن كثير ٢/٢٦٣].

وقال قتادة: «اعلموا أن السبيل سبيل واحد، جماعة الهدى ومصيره الجنة، وأن إبليس استبدع سبلاً متفرقة، جماعة الضلالة ومصيرها إلى النار».

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية، وفي قوله: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فيه»، ونحو هذا في القرآن قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. [تفسير القاسمي ٦/٢٥٧١].

أعظم أسباب الاجتماع:

وقد ذكر الله في كتابه أن هذه الأمة أمة واحدة، تعبد إلهًا واحدًا، قال الله تعالى: « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ » [الأنبياء: ٩٢] أي: أن ملة الإسلام ملة واحدة، وهو دين الله تبارك وتعالى الذي لا عوج فيه ولا اختلاف، والمعبود إله واحد- جل في علاه- ، وقد ذهب ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغيرهم: أن المراد بالأمة الواحدة: الدين الواحد، والسنة الموحدة، ومعنى ذلك: أن نجتمع تحت راية القرآن والسنة، وهما من أعظم أسباب الاجتماع، ونعبد ربًا واحدًا، ونتبع فقط نبينا صلى الله عليه وسلم.

كما يظهر من الآية أن سلامة المعتقد يؤدي إلى وحدة الجماعة، وصفاء ونقاء العبادة، فمتى كان المعتقد خالصًا صائبًا كانت الجماعة مجتمعة ملتئمة، وإذا وقع خلاف في العقيدة أتبعه تفرق في الجماعة،وختامًا فإني أدعو أهل ملة القرآن والسنة إلى الوحدة والجماعة، وأن نكون صفًا واحدًا متراصًا لله وفي الله، وأن ننبذ أسباب الخلاف والفرقة التي وقعت بيننا سواء كان خلافًا سياسيًا بين القادة والزعماء، أو مذهبيًا بين المشايخ والعلماء، ولنرجع جميعًا إلى الحق، المتمثل في منهج أهل السنة والجماعة، أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع شمل هذه الأمة، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يقينا من شر الأشرار وكيد الفجار، والحمد لله رب العالمين.

نداء إلى أمة الإسلام: عليكم بالجماعة، وكونوا عباد الله إخواناً، تخلوا عن الخلافات وانبذوا الكراهية والشحناء، وكونوا كما قال الله تعالى: « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون» وقال: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».

كلمة التحرير

عام جديد بين المرارة والآمال!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، سخر الشمس والقمر، وجعلهما آيتين على بديع صنعه وكمال قدرته، وجلال سلطانه، وبعدُ:

تعيش الأُمة الإسلامية هذه الأيام إشراقة عام هجري جديد، وإطلالة عام مباركٍ بإذن الله، بعد أن أفَلَت شمس عام كامل، مضى بأفراحه وأتراحه، فقُوِّضت خيامه، وتصرَّمت أيامه، ألا ما أسرع مرور الليالي والأيام! وتصرم الشهور والأعوام!!

لكن الموفَّق الملهَم مَن أخذ من ذلك دروسًا وعبرًا، واستفاد منه مذكِّرًا ومزدجرًا، وتزود من الممر للمقر، فإلى الله تعالى المرجع والمستقر، والكيِّس المسدَّد مَن حاذر الغفلة عن الدار الآخرة؛ حتى لا يعيش في غمرة، ويؤخذ على غرَّة، فيكون بعد ذلك عظة وعبرة، والله نسأل أن يجعل من هذا العام نصرة للإسلام والمسلمين، وصلاحًا لأحوالهم في كل مكان، وأن يعيده على الأمة الإسلامية بالخير والنصر والتمكين إنه جواد كريم.

عام مضى.. وعام يُطلُّ برأسه

نستقبل عامًا هجريًا جديدًا، نسأل الله سبحانه تعالى أن يكون عامًا مباركًا، وأن يُهلَّ هذا العام على أمة الإسلام بالأمن والأمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما يحبّه ويرضاه، فإنه إذا استُعين أعانَ، وأن يجعل من هذا العام نصرًا للمسلمين في كل مكان، وأن يجعل حاضر أيامنا خيرًا من ماضيها، ومستقبلها خيرًا من حاضرها، وأن يحفظ أمة الإسلام من شرور الحوادث والفتن، وغوائل الكوارث والمحن، إنه سبحانه ولي الجود والإحسان.

وإذا كانت الأمة الإسلامية قد ودّعت عامها المنصرم بكل ما حمله، فإننا في مصر قد ودعنا عامنا الهجري ولم يبقَ منه سوى ذكريات مؤلمة، ومرارة يتجرعها أبناء الوطن صباح مساء؛ ألمًا وحزنًا على ما وقع على أرض مصر الحبيبة، التي أصبح يتناولها الصغير والكبير، ويتآمر عليها الغثّ والثمين، ممن يستحق أو لا يستحق، يتعاون معهم وينفّذ خططهم ومآربهم بعض من أبناء جلدتنا، يخرّبون ويدمّرون، ينشرون الفوضى، وتُراق الدماء صباحَ مساء!!

ودّعنا العام كما يودّع المرء يومه عند انقضائه، وقد تذكر ما لقي بين صباحه ومسائه، وما تقلب عليه من

حالي كَدَره وصفائه، حزن وسرور، ضعة وظهور، سعادة وابتلاء، شدة ورخاء، فطوبى ثم طوبى لمن عمَّره بجليل الطاعات والقربات، ويا بشرى لمن أودع خزائنه الحسنات، وحاذر فيه المعاصي والسيئات.

سُنن الله لا تتبدل ولا تتغير

عام جديد يطلّ علينا، وعيوننا مشدوهة لكل ما يقع وما يحدث من مستجدات على أرض مصر صباح مساء، دماء لا تزال تراق، مؤامرات وفتن، وهوان على الناس، أخلاق العباد قد تغيَّرت، والأخ قد هان على أخيه، افتقاد للتربية، مئات من الصور المؤسفة في كل بقعة من بقاع مصر، والأحداث كثيرة ومتسارعة، ولجنة الخمسين المشكلة لإعادة صياغة الدستور توشك على الانتهاء مع استمرار حالة الجدل، وما تزال المواد المتنازع على صياغتها تتجاذبها الأطراف بين رفض وقبول، وأمل كل تكتل إثبات أنه قد حقق انتصارًا في تحقيق مآربه، ونحن نعرِّج على تلك النقطة مذكِّرين أعضاء تلك اللجنة بما ذكرناهم به من قبل بأن ما تقومون به من عمل هو مسئولية أمام الله سبحانه وتعالى، سيحاسبكم عليه يوم الحساب، يوم لا ينفع منصب ولا جاه ولا سلطان، وسوف تحاسبكم عليه الأجيال القادمة، فاتقوا الله في كل كلمة تُكتب فإن ما تكتبونه قد تكون سببًا في وأد الفتن التي انتشرت في أرجاء البلاد، وزوال المحن والكروب، فهويتنا إسلامية، وعقيدتنا واضحة جلية، لا يشوبها شائبة، وأحكامنا شرع وشريعة مستمدة من كلام ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وسنن الله باقية لا تتبدل ولا تتغير..

إن النواميس الإلهية تأتي على المجتمعات وفق ما قدَّره وبينه لهم خالقهم بشارةً ونذارةً، وإن الأمم والمجتمعات ما انحدرت من عزها، ولا بادت بعد ما سادت ومُحيَ أثرها ورسمها من ألواح الرفعة إلاَّ بعد نكوصها عن تلك السنن، وبُعدها عن مسببات العزة والتمكين التي سنَّها الله على أساس الحكمة البالغة، «ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ١٣١- ١٣٢].

ما أشبه الليلة بالبارحة!!

نستقبل عامًا هجريًا جديدًا نتذكر معه أن الله تعالى لا يغيِّر ما بأمة من عزة وغلبة وسلطان ورغد عيش وأمن وراحة حتى تغيِّر تلك الأمةُ ما بنفسها من نور العقل الصريح والنقل الصحيح، والفكر المتجرد، وإشراق البصيرة، والقوة في الحق، والعبرة والاعتبار بأيام الله في الأمم السابقة والتدبر في أحوال المتهالكين عن صراط الله، الهائمين في كل وادٍ بسبب عدولهم عن سُنة الدين والعدل والاستقامة في الرأي، والصدق في القول، والقوة في الانتماء، والعفة في الشهوات، والحمية على العقيدة، وبسبب إيثارهم الحياة للباطل على الموت للحق، «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ» [غافر: ٢١]، «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» [القصص: ٥٨].

> نستقبل عامًا هجريًا جديدًا نتذكر معه أن الله تعالى لا يغيِّر ما بأمة من عزة وغلبة وسلطان ورغد عيش وأمن وراحة حتى تغيِّر تلك الأمةُ ما بنفسها من نور العقل الصريح والنقل الصحيح، والفكر المتجرد، وإشراق البصيرة، والقوة في الحق، والعبرة والاعتبار بأيام الله في الأمم السابقة.

عام جديد يطل علينا وما أشبه الليلة بالبارحة، واليوم بالأمس، وها هو التاريخ يعيد نفسه، بينما كان المسلمون أمة واحدة من شرق الأرض إلى غربها حتى إذا فشلت الأمة وتنازعت في الأمر، وعصى الناس خالقهم من بعد ما أراهم ما يحبون، وأعجبتهم كثرتهم فلم تُغنِ عنهم شيئًا، بدَّل الله رفعتهم دُونًا، وسُمُوَّهم صَغارًا، وغناهم فقرًا، وقوتهم ضعفًا، «أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ٢، ٣].

إن أي مجتمع يغتر بزعمه، ويحار في ظلمات أوهامه فلا يكون الإيمان الحق سبيلاً له في احتمال المشاق، وتجشم المصاعب، وتحمّل الأذى في سبيله، فهو ليس بمعزل عن الأفئدة الهواء؛ لأن

الإيمان الحقيقي لا بد أن يغلب كل هوى، ويقهر كل ضعف، ويدفع بالنفس المؤمنة إلى طلب مرضاة الله، كما قال الله سبحانه وتعالى: « إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » [سورة التوبة : ٤٤، ٤٥].

وإن الله لا يقبل في صيانة الإيمان، وحماية حوزة الدين، وإقامة شرعه ومنهاجه على أرضه عذرًا ولا تعلةً ما دام القلب يفقه، والرّجل تمشي، واليدُ تعمل، والعين تبصر، والأذن تسمع: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ » [الأعراف : ١٧٩].

اتفاق الرأي في المصلحة العامة الموافقة لهدي الإسلام:

إن في توالي الأعوام عبرًا وتذكرة للمتذكرين، وفي أفول الأزمنة آيات للمتبصرين، والله سبحانه قد جعل اتفاق الرأي في المصلحة العامة الموافقة لهدي الإسلام، والاتصال بصلة الألفة في المنافع العلية سببًا للقوة، واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا، والتمكن من الوصول للخير الأبدي في الآخرة، كما جعل سبحانه التنازع والتغابن والتدابر محلاً للضعف، وداعيًا للسقوط في هوة العجز والكسل عن كل مصلحة دنيوية أو أخروية، ولقمة سائغة في مخالب العاديات من الأمم، فمن نظر نظرة في أحوال الشعوب، ماضيها وحاضرها، ولم يكن مصابًا بموت القلب، وعمى البصيرة، أدرك سرّ أمر الله في قوله: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» [آل عمران: ١٠٣]، وسرّ نهيه سبحانه في قوله: «وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» [الأنفال : ٤٦].

ألا أن المفاهيم إذا اختلت، والأنفس إذا تنازعت، والبصائر إذا عميت فستكون النتيجة ولا شك إفراز نفوس من بني الملة لا ترضى بحقيقة الإسلام، وإن رضيت برسمه، تتلون تلون الحرباء، وتتشكل تشكل الأغوال، نفوسًا تضحك وقت البكاء، وتمرح عند اشتداد اللأواء، نفوسًا تنقبض أوقات المسرة وتضجر لسعة الرحمة، نفوسًا تقدم العزاء إذا انتصرت الاستقامة، وتفرح حال العزاء لفقدها، إن مثل هذه النفوس كمثل الحسك المثلث الأضلاع، كله شوكٌ حيثما قلبته.

أصحاب الهوى.. وضعاف الإيمان

عام يمضي بكل ما حمل، ويهل علينا عام جديد وما يزال كثير من الناس يعيش عبدًا لهواه وغوايته، يموج في الأحداث، ويتناسى الحقائق، وينغمس في الفتن متناسيًا أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بمصالح الخلق، إلا أنها لم توضع على مقتضى تشهّي العباد وأغراضهم، « وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ » [المؤمنون : ٧١]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل: «إن الناس لا يفصل بينهم النزاعَ إلا كتابٌ منزل من السماء، ولو رُدُّوا لعقولهم فلكلِ واحد منهم عقل». [درء التعارض: ١/ ١٣٣].

وإنه لا اجتهاد مع النص، ولا قول لأحد مع قول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» [الأحزاب : ٣٦]، بل إن كراهة شرع الله وابتغاء ما سواه محبط للعمل كما بيّن رب العزة سبحانه في سورة محمد: « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ » [محمد : ٩].

وقد جعل الله للعقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه، ولا يمكن أن تحيط بكل شيء، فالإحاطة للباري وحده، الذي يعلم الأشياء على التمام والكمال والمآل، أما العباد فإدراكهم قاصر.

> طوبى لمن فر من مواطن الريب، ومواقع المقت والغضب، مستمسكا بدينه، عاقدا عليه بيديه، قد اتخذه من الشرور ملاذا ومن الفتن معاذا، ويا خسار من اقتحم حمى المعاصي والآثام، وأوقع نفسه في الموبقات العظام، وأحكم عقد الإصرار على الذنوب والأوزار.

الاعتبار والعظة من عام مضى وعام آت

وإذا كنا قد ودّعنا عامًا رحل بكل الأهوال والآلام التي تجشأتها صدور أهل مصر، فإننا يجب أن نأخذ العبرة من أحداثها متذكرين أننا لسنا في دار بقاء، وإن تراخى العمر وامتد المدى، فالدنيا أيامها مراحل، وساعاتها قلائل، والمرء لا شك

عنها راحل، شبابها هرم، وراحتها سقم، ولذاتها ندم، فالدنيا قنطرة لمن عبر، وعبرةٌ لمن استبصر واعتبر، «وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ» [الحديد : ٢٠].

فاستبقوا الخيرات، وبادروا قبل أن تتمنوا المهلة وهيهات هيهات، ولا تغتروا بحياة تقود إلى الممات، لا يرى في حشودها إلا الشتات، ولا يسمع في ربوعها إلا فلان مرض، وفلان مات.

فالدنيا قد آذنت بالفراق، فراق ليس يشبهه فراق، قد انقطع الرجاء عن التلاق، «وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ» [القيامة : ٢٩، ٣٠]، فطوبى لمن فرّ من مواطن الريب، ومواقع المقت والغضب، مستمسكًا بدينه، عاقدًا عليه بيديه، قد اتخذه من الشرور ملاذًا ومن الفتن معاذًا، ويا خسار من اقتحم حمى المعاصي والآثام، وأوقع نفسه في الموبقات العظام، وأحكم عقد الإصرار على الذنوب والأوزار، هلك المصرّ الذي لا يقلع، وندم المستمر الذي لا يرجع، وخاب المسترسل الذي لا ينزع، «وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ» [الحجرات : ١١].

فيا فوزَ مَن تاب، ويا سعادةَ من آب، وربّه يقول: «وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ» [طه : ٨٢]. فيا مَن يسمعُ الخطاب، تنبَّه قبلَ أن تُناخ للرحيل الرّكاب، وإيّاك إيّاك أن تدركَ الصّرعةُ، وتؤخَذَ عند الغرّة، فلا تُقال العَثْرة، ولا تمكّن من الرجعة، «وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المنافقون : ١١].

من سافر بغير زاد .. قلّ أن يسلم

فيا متأملاً عامًا قد مضى، ويا ناظرًا عامًا قد ابتدأ، اعلم أن أمامنا قبرًا، ثم نشرًا، ثم حشرًا، ثم كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ثم المصير إلى جنة أو نار، فمن سافر بغير زاد قلّ أن يسلم، ومن لم يتدبر عواقب الأمور فلا بد أن يندم، ومن لم يُكثر من محاسبة نفسه كثرت عليه الديون، وعما قليل هو في القبر مرهون، ومن سكنت الدنيا قلبه قَلبته، ومن استمرأ المخالفة وتهاون في الحدود خُتم على قلبه، حتى يصبح كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه.

إن وصل القلب بالله في السر والخفاء الذي لا تطلع عليه العيون، هو ميزان الحساسية في القلب البشري، وعلامة الحياة للضمير، ومتى انعقدت الصلة بالله في القلب فهو مؤمن صادق موصول بربه، وإن استقرار هذه الحقيقة في النفس ينشئ لها إدراكًا صحيحًا للأمور مع ما يؤدي من يقظة وتقوى تناط بها الأمانة التي يحملها المؤمن في هذه الأرض، أمانة التوحيد، وأمانة العمل.

مراجعة ومحاسبة .. ووصل النهاية والبداية

عام قد أفل، وبدأ عام جديد، والحاجة ماسة إلى سلوك نهج المراجعة والمحاسبة، وليس ذلك قاصرًا على أفراد أو طائفة من الناس، بل إن الأمة المسلمة بمجموعها مفتقرة إليه، ولا غناء لها عنه وهي تودع عامًا منصرمًا، وتستقبل عامًا جديدًا، لكنها في حق الأمة مراجعة تتسع أبعادها، ويعم نطاقها، ويعظم نفعها، إذ هي نظرة شاملة للأحداث، وتأمل واع للنوازل، وتدارس دقيق للعظات والعبر، وسعي حثيث من بعد ذلك إلى تصحيح المسار، وإقامة العوج لتذليل الطريق أمام استئناف الحياة الإسلامية القويمة المرتكزة على هدي الوحيين المستضيئة بأنوار التنزيلين.

> من سافر بغير زاد قلّ أن يسلم، ومن لم يتدبر عواقب الأمور فلا بد أن يندم، ومن لم يُكثر من محاسبة نفسه كثرت عليه الديون، وعما قليل هو في القبر مرهون.

وصدق سبحانه إذ يقول : «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ» [الحشر : ١٨- ٢٠].

فاللهم ألهمنا الصواب، وأسبغ علينا نعمك، وأسعدنا بعام جديد نلقاك فيه على إيمان وحُب منك يا رحمن، وأسبغ فيه على عبادك المسلمين في كل البلاد والأوطان رحمة من عندك، واستقرارًا وأمانًا ونجاةً من الفتن، نسألك أن تنزل على سائر المسلمين وبلدانهم سحائب رحمتك، وكثير غفرانك وأن تردنا إليك غير خزايا ولا مفتونين يا رب العالمين، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب التفسير

تفسير سورة غافر

الحلقة السابعة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ » [غافر: ٦٩- ٨٥]:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

موقف الكافرين من آيات التوحيد:

وهكذا دلهم الله تعالى على دلائل التوحيد التي يرونها رأي العين، ومع ذلك أبى أكثر الناس إلا كفورا، وهو أمر عجيب،كما قال القائل:

فوا عجبا كيف يعصى الإله

أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه الواحد

ولذلك عجب الله نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فقال: « أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ » أي كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل،وعن الهدى إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك،وعن الإيمان إلى الكفر؟! «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا» من الهدى ودين الحق.

ثم توعدهم فقال: «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أنهم كانوا في الضلال المبين، «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ» [القمر: ٤٨]، «إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ»: الأغلال قيود من حديد توضع في الأيدي ثم تعلق في العنق، والسلاسل قيود من حديد توضع في الأرجل، قال تعالى: «إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟

وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا » [الإنسان: ٤]، وإذا قضى الله تعالى على أحد من أهل النار قال للزبانية: « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ » [الحاقة: ٣٠- ٣٢].

قال بعض المفسرين: هذه السلاسل طرفها بيد الزبانية، والكفار في وسط النار، فهم يسحبونهم تارة هاهنا، وتارة هاهنا، ولذلك قال تعالى: « إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ »، كما قال تعالى: «هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» [الرحمن: ٤٣- ٤٤]، وقال تعالى: «إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ » [الدخان: ٤٣- ٥٠].

« ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ » تبكيتا وتوبيخا ليزدادوا عذابا فوق العذاب، «أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ »؟! ينصرونكم من عذاب الله، أو يشفعون لكم عند الله، كما كنتم تزعمون، «قَالُوا» والحسرة تملأ قلوبهم، «ضَلُّوا عَنَّا» أي غابوا وهربوا، وتركونا أحوج ما نكون إليهم، ثم استدركوا فاعترفوا ببطلان آلهتهم، فقالوا: «بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا »، فما كانوا يستحقون العبادة، ولكن خيل لنا. قال تعالى: «كَذَٰلِكَ» مثل هذا الإضلال «يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ»: «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا»، فإن من سنة الله تعالى أن من سلك سبيلا يسره الله له: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ» [الليل: ٥- ١٠]، وقال تعالى: «قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا » [مريم: ٧٥- ٧٦].

ثم قيل لهم: «ذَٰلِكُم بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ»: ذلكم العذاب الذي ذقتموه بسبب أنكم كنتم في الدنيا تفرحون بالباطل وانتفاشه، وتفرحون بما ترتكبون من معصية الله، وتفرحون بما تحصلون من متاع الحياة الدنيا، حتى استغنيتم بما أوتيتم عما جاءتكم به الرسل من عند ربكم، كما قال تعالى: « فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » [غافر: ٨٣]، وقال تعالى: «وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ » [الرعد: ٢٦]، وقال علماء بني إسرائيل لقارون: «لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» [القصص: ٧٦].

فالفرح بالباطل ومتاع الحياة الدنيا مذموم، أما الفرح بالحق والهدى والتوفيق،والطاعة والإيمان فهو فرح محمود أمر الله به فقال: « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » [يونس: ٥٨].

ثم قيل للكافرين: «ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» أبدا، « كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ » [السجدة: ٢٠]، «فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ».

هذا ما ينتظر المتكبرين في الآخرة، «وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » [الطور: ٤٧]، «فَاصْبِرْ» يا نبينا ولا تستعجل لهم، «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ»، «وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ» [الحج: ٤٧]، «فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» في حياتك «أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ» قبل ذلك «فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ» ولن ينجوا من العذاب. وقد أقر الله تعالى عين رسوله فمكنه منهم، ونصره عليهم، وعذبهم في الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.



«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ»:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ! أَيُّ الأَنْبِيَاءِ أَوَّلُ؟ قَالَ: آدَمُ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَوَ نَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ قِبَلاً قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! كَمْ وَفَّى عَدَدُ الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاَثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا. [مسند أحمد (٢١٥٩٢) وضعفه الألباني].

سمى الله منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرين:

في تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

يعني ب(في تلك حجتنا) قول الله تعالى: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ» [الأنعام: ٨٣- ٨٦].

وكل رسول من الرسل قد آتاه الله آية تدل قومه على أنه رسول من الله،كما في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [متفق عليه].

وهذه الآيات يظهرها الله على يد من يشاء من الرسل، متى شاء، ولا يستطيع الرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، ولذلك قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ»، أي وما صحَّ وما استقامَ لرسولٍ منهم «أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ»، فإنَّ المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى، قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة، كسائر القسم، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح منها.[تفسير أبي السعود(٥/٤٢٩)].

ولذلك لما سألت الأقوام رسلهم أن يأتوهم بآية: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [إبراهيم: ١١]، ولما سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية،أمره الله تعالى أن يقول: «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» [الأنعام: ١٠٩].

«فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» بالعذاب في الدُّنيا والآخرة «قُضِيَ بِالْحَقِّ» بإنجاء المحق وإثابته، وإهلاك المبطل وتعذيبه «وَخَسِرَ هُنَالِكَ» أي وقت مجيء أمر الله، اسم مكان استعير للزمان، «الْمُبْطِلُونَ» أي المتمسكون بالباطل على الإطلاق، فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولاً أوليًا. [تفسير أبي السعود(٥/٤٢٩)].

ومن دلائل التوحيد خلق الأنعام: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ» أي خلقها لكم، وهي الإبل، والبقر، والغنم، ومنافعها كثيرة لا تخفى على إنسان، منها ما ذكره الله في هذه الآية: «لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ».



وقال تعالى: «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» [النحل: ٥- ٧]، وقال تعالى: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ» [النحل: ٦٦]،

وقال تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» [النحل: ٨٠]، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ» [يس: ٧١- ٧٣].

وبعد ذكر هذه الآيات، من قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا» إلى هنا، يسألهم ربهم سبحانه وتعالى ماذا ينكرون من هذه الآيات البينات التي يرونها رأي العين، وكلها تشهد لله بالوحدانية، فيقول سبحانه: «وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ»؟! وهم لم يكونوا ينكرون منها شيئًا، كما صرح ربنا سبحانه وتعالى بذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» [العنكبوت: ٦١- ٦٣]، ولكنهم كانوا بربهم يشركون، فأقام الله تعالى عليهم الحجة، وأعلمهم أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فما دام الله هو الخالق وحده، يجب أن يكون هو المعبود وحده.

ثم حذرهم الله تعالى عاقبة الذين من قبلهم إن هم أصروا على الكفر، فقال تعالى: «فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ»، «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ» [الزمر: ٥١].

«فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»، يعني أنهم فرحوا بما عندهم من علوم الدنيا، واستغنوا بها عن العلم الذي جاءتهم به الرسل من عند الله، وإنما تجيء الرسل بالعلوم الشرعية، التي لا مصدر لها إلا الوحي، وأما علوم الدنيا فإن الناس يتعلمونها بالفطرة، ويتلقاها بعضهم عن بعض، وعلم الشريعة هو أساس السعادة في الدنيا والآخرة، وعلوم الدنيا إن لم يكن معها علم الشريعة فهي والجهل سواء، وربما كانت سبب شقاء الإنسان، قال تعالى: «وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» [الروم: ٦- ٧].

«فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ»:

يقول تعالى: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، لما رأوا العذاب آمنوا بالله وحده، وكفروا بما كانوا يعبدون من دونه، ولكن لم ينفعهم إيمانهم، لأن الله تعالى قد حكم أنه لا يقبل إيمانًا بعد نزول العذاب، قال تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [النساء: ١٧- ١٨]، وقال تعالى: «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» [يونس: ٩٠- ٩١].



نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الهداية والتوفيق، والموت على الإيمان. وبذلك انتهى تفسير سورة غافر، نسأل الله القبول وحسن الخاتمة، وإلى لقاء جديد، والحمد لله رب العالمين.

أسئلة القراء عن الأحاديث

كلمة الشيخ في بداية تحرير الباب

المحدث/ أبو إسحاق الحويني

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ» [آل عمران : ١٠٢].

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء : ١].

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» [الأحزاب : ٧٠- ٧١].

أمّا بعدُ: فها أنا أعود- بحمد الله تعالى- إلى تحرير باب الإجابة عن أحاديث القراء في مجلة التوحيد الغراء، بعد انقطاع دام نحوًا من سبع سنوات، وقد ظللت أكتبُ هذا الباب قريبًا من خمسة عشر عامًا، بدءًا من شهر صفر ١٤١٣هـ إلى شهر رجب ١٤٢٧هـ.

وكان سبب تحريري هذا الباب، أنني كنتُ في جلسةٍ مع فضيلة الشّيخ مُحمد صفوت نور الدّين، رحمه الله، وكان الرّئيسَ العامّ لجماعة أنصار السُّنّة بمصرَ في ذلك الوقت، وكان ذلك عقب درس علميّ ألقاهُ في مسجدي الكائنِ بمدينةِ كفر الشّيخ، وتكلّمنا في أُمورٍ شتّى، فكان ممّا قُلتُهُ له: «إنني لا أستطيعُ أن أفهَمُ حتى الآن أن تكون جماعةٌ دعويّةٌ سَلَفيّةٌ كهذه التي ترأسُهَا، وليسَ لها مجلّةٌ علميّةٌ تُطبَعُ مرّتَينِ في العام على الأقلّ، تُعلّمونَ النّاسَ من خلالهَا عقيدَةَ السّلَف الصّالح، ويَكتُبُ فيها أهل العلم عن مسائل النّوازلِ التي تقَعُ بالمُسلمين، ممّا لم يَكُن مثلُهُ في الأزمان السّالِفَة، فأينَ الأرشيفُ العلميُّ للجماعة؟!».

فقال: «عندنا مَجَلَّةُ التَّوحيد»، فقُلتُ لهُ: «هذه مجلَّةٌ سيَّارةٌ لعَامَّة النَّاس، وأنا أتَكَلَّمُ عن مَجَلَّة يغلُبُ عليها طَابَعُ البَحث العلميّ»، فقال: «لمَ لا تَأتينَا في المَركز العامِّ لِنَطرَحَ هَذه القَضيَّة للمُناقَشَة؟».

واتَّفَقنا، وذَهَبتُ إليهم، والتَقَينا بالشَّيخ صفوت الشَّوادفي رحمه الله وطالَ الكلامُ، فقال لي الشيخُ الشَّوادفي: «أنتَ تُريد أن تُحلِّق في الفضاء البَعيد، ونحنُ نَطلُبُ منكَ شيئًا يسيرًا لا يُكَلِّفُ كثيرًا، ويكونُ نُواةً لهذه الأُمنيَّة التي ترجُوها».

قُلتُ لهُ: «وما هي؟» فقال: «أن تُشاركَنا في رَفع سَقف مجلَّة التَّوحيد التي أرأَسُ تَحريرَها، بأن تُجيبَ عن أسئلَة القُرَّاء الذين يُتابعُونَ المجلَّة بشَغَف بالغ، ويَنتَظرونَ كلمَتَك في الحُكم على الأحاديث الَّتي يسمعونَها من خُطباء المساجد أو يقرءونَها في الكُتُب»، ثم أخرَجَ لي كيسًا كبيرًا، وقال: «هذه رسائلُ تحتوي على مئات الأحاديث التي تنتظر الجوابَ عنها».

ولَم يُعطني فرصَةً لأُبدي رَأيي في الموضُوع، ولكنَّهُ طَلَب منِّي ألاَّ أُطيل الكلامَ حولَ أسانيد الأحاديث، فضلاً عن الخَوض في المُناقَشات العلميَّة، التي لا يفهمها مُعظَمُ القُرَّاء، واضعًا في اعتباري الإجابةَ عن أكبر قدرٍ من الأسئلَة، بأن أذكُرَ الحديثَ المسئُولَ عنه، ثُمَّ أجيبَ عنه في سَطرين أو ثلاثة، حتَّى نُجيبَ عن أكبر قَدرٍ من الأسئلة.

ولم أُوَافقهُ على هذا، وقُلتُ لهُ: «هناكَ جانبٌ تعليميٌّ في الإجابة عن هذه الأحاديث، لا يقلُّ أهميَّةً عن الجواب نفسه، ذلك أنَّنا نُريدُ أن يعرفَ الناسُ: كيفَ نَحكُمُ على الحديث، وأنَّ المسألَةَ ليست بالتَّشَهِّي واتِّبَاع الهَوَى، بل وفقَ ضوابطَ علميَّةٍ دقيقة، وهذا لا يكونُ إلاَّ إذا أبرزنا هذا المعنَى من خلال تخريج الأحاديث، أمَّا أن أكتَفي بأن أُجيبَ عن الحديث بأنَّهُ صحيحٌ أو ضعيفٌ أو منكرٌ إلى آخر هذه الألقاب، فلا أرَى فيه فائدةً».

فقال لي: «افعل ما تراهُ مُناسبًا، واضعًا في اعتبارك أنَّهُ يَصلُني عشراتُ الخطابات، التي تحتَوي هي بدَورها على أسئلَة كثيرة».

وبَـدَأتُ فـي الجَـواب عـن هَـذه الأسئلَة، واضطُررتُ أمامَ كَثرتهَا أن أختَصرَ الجَوابَ عنها اختصارًا مُجحفًا في الغالب، لكنَّني خَالَفتُ شَرطي في أحيان قليلَة، وظَلَلتُ عدَّةَ سَنَوات أكتُبُ هذا الباب، كما ذَكرتُ من قبل، وكان من بركات هذا العمل أنني رجعت إليه مرَّةً أخرى، ونظرتُ في أحاديثه، واستوفيتُ كثيرًا من التحقيق الذي أهملتُهُ عمدًا للسبب السالف ذكرُهُ، وهو ضيق المساحة المتاحة لي في المجلة، مع الإجابة عن أكبر قدر من الأسئلة، فكان من بركات هذا أنني أخرجت هذه الفتاوى في ثلاثة مجلدات وهي مطبوعة بحمد الله تعالى بعنوان: «إسعاف اللبيب بفتاوى الحديث».

وإني لأرجو من الله تعالى أن يوفقني- من العدد القادم- للإجابة عن الأحاديث التي تأتيني من القراء، وأن يسدد رميتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوحيد:

ترحب أسرة تحرير مجلة التوحيد، ورئيس تحريرها، بمشاركة فضيلة العلامة الشيخ أبي إسحاق الحويني، حفظه الله، سائلين الله تعالى أن يُجري الحق على لسانه وقلبه، وأن ينفع به المسلمين.

وهي فرصة طيبة لقراء المجلة الكرام لاغتنام هذا الباب في تعلّم العلم النافع المتعلق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التحرير

فتاوى

حكم إفراد عاشوراء بالصيام

هل يجوز أن أصوم عاشوراء فقط دون صيام يوم قبله (تاسوعاء) أو يوم بعده؟

الحمد لله، قال شيخ الإسلام: صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةُ سَنَةٍ وَلا يُكْرَهُ إِفْرَادُهُ بِالصَّوْمِ.. [الفتاوى الكبرى ج٥].

وفي تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي: وعاشوراء لا بأس بإفراده. [ج٣ باب صوم التطوع].

وقد سُئلت اللجنة الدائمة هذا السؤال فأجابت بما يلي: «يجوز صيام يوم عاشوراء يومًا واحدًا فقط، لكن الأفضل صيام يوم قبله أو يوم بعده، وهي السُنَّة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع. [رواه مسلم (١١٣٤)]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يعني مع العاشر). وبالله التوفيق.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤٠١/١١).

سؤال: ماذا يجب على المسلم يوم عاشوراء أن يقوم به وهل تجب فيه زكاة الفطر؟

الجواب: يشرع للمسلم في يوم عاشوراء صيامه؛ لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بصيام عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر، وليس ليوم عاشوراء زكاة فطر كما في عيد الفطر بعد شهر رمضان.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

قصة يوم عاشوراء وحقيقتها

س: ما قصة يوم عاشوراء وحقيقتها؟

ج: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرًا وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقالوا: هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا لله، فنحن نصومه، فقال صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. [أخرجه البخاري ٢٦٩/٤، ومسلم (١١٣٠)].

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الفتوى رقم (١٧٦٣٥)].

صوم عاشوراء.. ومخالفة أهل الكتاب

س: جاء في الحديث: «أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فصامه وأمر بصيامه (صحيح البخاري ٣٩٤٣)»، فكيف يتفق هذا مع أمره بمخالفة أهل الكتاب في أمور كثيرة؟

ج: كان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ثم شرع الله له مخالفتهم، فأمر أمته بذلك، ومن ذلك صوم يوم عاشوراء، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع (صحيح مسلم (١١٣٤)» يعني مع العاشر، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خالفوا اليهود صوموا يوما قبله أو يوما بعده (أخرجه أحمد: ٢٤١/١).



[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الفتوى رقم (٢٠٧٤٦)].

شهر الله المحرم نفحة من نفحات الدهر

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

اختص الله تعالى في أيام دهرنا مواسم تعظم فيها الطاعة والتقرب إليه سبحانه وتعالى، فهي مواسم جليلة ونفحات ربانية عظيمة وهبها الله لهذه الأمة تفضلاً منه تبارك وتعالى، فقد أخلفها عن قصر أعمارها بركةً في عملها ونفحات في أيام دهرها، فمواسم الخيرات في السنة لا تنقضي، يخرج المؤمن من عبادة ليستقبل أخرى، فمن لا يطيق فضيلة فهو يجتهد في غيرها، ومن فاتته فرصة للخير فهو يغتنم أخرى، فطوبى لمن تعرض لهذه النفحات، واستغل الفرص قبل الفوات، وكل ذلك من نعم الله تعالى على عباده، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، من ذلك شهر الله المحرم الذي يلي موسم الحج المبارك، وفي فضل المحرم يقول الإمام مسلم رحمه الله:

حدثني قُتَيْبَةُ بن سَعِيدٍ حدثنا أبو عَوَانَةَ عن أبي بِشْرٍ عن حُمَيْدِ بن عبد الرحمن الْحِمْيَرِيِّ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».

أولا: عزو الحديث:

١- (صحيح مسلم، كتاب الصيام، بَاب فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، (٢/٨٢١) (١١٦٣) ط: دار إحياء التراث العربي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢- (سنن أبي داود «كتاب الصوم، بَاب في صَوْمِ الْمُحَرَّمِ (٢/٣٢٣)» (٢٤٢٩)، ط/دار الفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣- (سنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة/بَاب ما جاء في فَضْلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ (٢/٣٠١) (٤٣٨)، ط/دار إحياء التراث العربي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٤- (المجتبى من سنن النسائي) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل (٣/٢٠٦) (١٦١٣)، ط٢/مكتب المطبوعات الإسلامية، ت: عبدالفتاح أبو غدة.

ثانيا: رجال الإسناد:

١- قُتَيْبَةُ بن سَعِيدٍ: هو ابن سعيد بن جميل بفتح الجيم بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني (ثم البلخي) يقال اسمه يحيى، وقيل علي، ثقة ثَبْت، مات سنة أربعين عن تسعين سنة (تقريبًا) [تقريب التهذيب(١/٤٥٤)، ط١/دار الرشيد، ت: محمد عوامة]، قلت: وقتيبة لقبه (مستفاد من تهذيب التهذيب (٨/٣٢١)».

فائدة خاصة بمن روى عن قتيبة:

روى عنه الجماعة (البخاري، مسلم، أبو داوود، الترمذي، النسائي، ابن ماجة) بغير واسطة سوى ابن ماجة فقد روى له بواسطة، وروى له الترمذي بواسطة وبغير واسطة [تهذيب التهذيب (٨/٣٢١)، ط١/دار الفكر].

٢- أبو عَوَانَةَ: هو وضاح بن عبد الله الحافظ أبو عوانة اليشكري مولى يزيد بن عطاء، سمع قتادة وابن المنكدر، وعنه عفان وقتيبة، ثقة متقن لكتابه، توفي ١٧٦هـ. [الكاشف(٢/٣٤٩)، ط١/دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ت: محمد عوامة].

٣- أبو بِشْرٍ: هو جعفر بن إياس أبو بشر بن أبي وحشية بفتح الواو وسكون المهملة وكسر المعجمة وتثقيل التحتانية ثقة مات سنة خمس، وقيل ست وعشرين. [انظر: تقريب التهذيب،(١/١٣٩) ط/دار الرشيد، ت: محمد عوامة].

٤- حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري: ثقة فقيه من الثالثة. [التقريب(١/١٨٢)].

٥- أبو هُرَيْرَةَ: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر (سبق الترجمة له في أكثر من عدد للمجلة فانظره).

تنبيه: هذه التراجم لرجال الإسناد آثرت أن أنقلها باختصار شديد؛ لأن الحديث في صحيح مسلم وهو من هو في هذا العلم الشريف، وقد اعتمد عليه في أصل كتابه، فلا داعي للتوسع في تراجم رجال إسناده بعد ذلك؛ لأن الحديث بهذه الشروط هو مما حكم عليه إمام المحدثين والعلل الإمام مسلم بالصحة، يقول الإمام

الحميدي- رحمه الله- في الجمع بين الصحيحين (٧٦/١): «وَشَهَادَةُ هذين الإمامين أو أحدهما بذلك، وتصحيحهما إياه حكمٌ يلزم قبوله، وتبليغ يتعيّن الانقياد له، ونذارة يخاف عاقبة عصيانها، قال تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» [سُورة التَّوْبَة: ١٢٢]».

فوائد ولطائف على رجال الإسناد:

١- قلت: يوجد سبعة من الرواة يكنى كل منهم بأبي بشر، وقد ذكرت هذا ليعلم القارئ الكريم جهد علماء الحديث في الحفاظ عليه، وتمييز صحيحه من سقيمه، ودراسة أحوال نَقَلته، مع ما يلاقونه من معاناة في هذا ولتمام الفائدة. [انظر: تهذيب التهذيب (٢٤/١٢)].

٢- ليس لحميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة في الصحيح غير هذا الحديث، وقد تفرد به مسلم دون البخاري، فليس لحميد في صحيح البخاري عن أبي هريرة شيء. [قاله الإمام الحميدي في جمعه بين الصحيحين ط/دار ابن حزم(٣٢٢/٣)].

٣- قال النووي: «ربما اشتبه حميد بن عبد الرحمن الحميري هذا بحميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري الراوي عن أبي هريرة أيضًا، وقد رويا في الصحيحين عن أبي هريرة أحاديث كثيرة، قد يقف مَن لا خبرة له على شيء منهما فينكر قول الحميدي توهمًا منه أن حميدًا هذا هو ذاك، وهو خطأ صريح [قاله الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٤٤/١) ط/ دار إحياء التراث]، فباقي ما في الصحيحين غير هذا الحديث لحميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة فهو لابن عوف الزهري. [الديباج على مسلم للسيوطي، ط/ دار ابن عفان، ت: الحويني].

٤- كذلك ليس للحميرى عن أبى هريرة أيضًا في الكتب الثلاثة التي هي تمام أصول الإسلام الخمسة (أعني: سنن أبي داود والترمذي والنسائي) غير هذا الحديث [النووي على مسلم (١٤٤/١)].

ثالثًا: شرح ألفاظ الحديث:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم): تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم، مع أنه قد ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الصوم في شعبان دون المحرم [انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥٥/٨)]، وسيأتي الجواب على هذا الإشكال في الفوائد الفقهية إن شاء الله.

قوله صلى الله عليه وسلم: (شهر الله المحرم): نسبه إلى نفسه سبحانه على سبيل التعظيم. [انظر شرح السنة للبغوي (٣٤١/٦) ط/المكتب الإسلامي].

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: (وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل): أي أفضل الصلاة أجرًا بعد الفريضة أجر صلاة قيام الليل.

رابعًا: ما يستفاد من الحديث:

١- تعظيم شهر الله المحرم فقد نسبه الله إلى نفسه، كمثل قوله سبحانه وتعالى: «نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا» [الشمس: ١٣]. وكان سفيان بن عيينة يقول في قوله عز وجل: «وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ» [الأنفال: ٤١]، نسب المغنم إلى نفسه لأنه أشرف الكسب، ولم يقل ذلك في الصدقة، فقال: «إنما الصدقات للفقراء..» [التوبة: ٦١]، ولم يقل: لله ثم للفقراء؛ لأنها أوساخ الناس، واكتسابها مكروه إلا للمضطر إليها. [شرح السنة (٣٤١/٦)].

٢- مما قيل في علة اختصاص المحرم بهذه النسبة: (شهر الله) دون سائر الشهور مع أن فيها ما يساويه في الفضل أو يزيد عليه كرمضان؛ لأن هذا الاسم إسلامي دون سائر الشهور، فإن أسماءها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية، وكان اسم المحرم في الجاهلية صفر الأول، والذي بعده صفر الثاني، فلما جاء الإسلام سماه الله المحرم، فأضيف إلى الله بهذا الاعتبار. [قاله السيوطي في الديباج (٢٥٢/٣)، ط/دار ابن عفان، ت: الحويني].

٣- قال القرطبي: «إنما كان صوم المحرم أفضل الصيام من أجل أنه أول السنة المستأنفة، فكان استفتاحها بالصوم الذي هو أفضل الأعمال» [الديباج على مسلم للسيوطي(٢٥٢/٣)]. قلت: والجواب عن الخلاف في أفضليته على غيره سيأتي بيانه إن شاء الله تحت عنوان (أي الشهور أفضل؟).

٤- فوائد فقهية مختصرة

١- ذكر الخلاف حول أي الأشهر الحرم أفضل؟ وجوابه:

رجح طائفة من أهل العلم أن أفضل هذه الأشهر هو شهر الله المحرم، قال ابن رجب: «وقد اختلف العلماء في أي الأشهر الحرم أفضل، فقال الحسن وغيره: أفضلها شهر الله المحرم ورجّحه طائفة من المتأخرين»، (قلت: ويدل على هذا حديثنا الذي بين أيدينا)، وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم، وكان يسمى: «شهر الله الأصم» من شدة تحريمه، وإطلاقه في هذا الحديث (أفضل الأشهر) محمول على ما بعد رمضان». (انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب ص(٣٤/١)، ط١/دار ابن حزم).

٢- أيهما أفضل التطوع بالصيام في المحرم كما هو ظاهر في حديثنا أم في شعبان لما صح وروده من إكثار نبينا من الصوم فيه؟

الجواب: الراجح فيها من كلام أهل العلم أن التطوع بالصيام في المحرم أفضل منه في شعبان، وجوابهم عما ورد عن كثرة صومه صلى الله عليه وسلم في شعبان ما يأتي:

قال المباركفوري- رحمه الله-: «فإن قلت: قد ثبت إكثار النبي- صلى الله عليه وسلم- من الصوم في شعبان، وهذا الحديث يدل على أن أفضل الصيام بعد صيام رمضان صيام المحرم، فكيف أكثر النبي- صلى الله عليه وسلم- منه في شعبان دون المحرم؟ قلت: لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما». [تحفة الأحوذي (٣/٣٦٨)، ط/دار الكتب العلمية]، ويكفي من فضائله ما جاء في يوم عاشوراء كما سيأتي بيانه إن شاء الله..

٣- هل يدل الحديث على الحث على فضل صيام شهر المحرم كاملاً؟

الجواب: اختلف أهل العلم رحمهم الله في مدلول الحديث؛ هل يدل الحديث على صيام الشهر كاملاً أم أكثره؟ نقول: حمله بعض العلماء على الترغيب في الإكثار من الصيام في شهر المحرم لا صومه كله، لقول عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان) [مسلم (٢/٨١٠ برقم ١١٥٦)].

٤- أيهما أفضل صلاة الليل أم السنن الرواتب؟

الجواب: في حديثنا دليل على ما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار وفيه حجة لمن قال: إن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم. [قاله النووي في شرحه على مسلم (٨/٥٥)].

٥- أيهما أفضل عاشوراء أم عرفة؟

الجواب: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يتحرى صيامه كما قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: «ما رأيت النبي- صلى الله عليه وسلم- يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر (يعني شهر رمضان) [رواه البخاري في صحيحه برقم (١٩٠٢)].

قال ابن حجر- رحمه الله-: «هذا(أي كلام ابن عباس) يقتضي أن يوم عاشوراء أفضل الأيام للصائم بعد رمضان، لكن ابن عباس- رضي الله عنهما- أسند ذلك إلى علمه، فليس فيه ما يرد علم غيره، وقد روى مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعًا أن صوم عاشوراء يكفر سنة، وأن صيام يوم عرفة يكفر سنتين، وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام عاشوراء، وقد قيل في الحكمة في ذلك: إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى- عليه السلام- ، ويوم عرفة منسوب إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فلذلك كان أفضل» [فتح الباري للحافظ ابن حجر (٤/٢٤٩)، ط/دار المعرفة].

خامسًا: إسقاط على الواقع:

أيها الحبيب: الكلام حول هذا الحديث المبارك يدور حول محورين رئيسين بخلاف الفوائد الفرعية:

المحور الأول: فضل شهر الله المحرم:

شهر الله المحرم هو أول شهر من الأشهر الهجرية وأحد الأربعة الأشهر الحرم، وقد بيّن لنا نبينا صلى الله عليه وسلم ما يتصل بهذا الشهر المبارك من خير، ومن ذلك:

١- فضل هذا الشهر عمومًا:

هو من الشهور الحرم التي عظمها الله تعالى وذكرها في كتابه فقال جل ذكره: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » [التوبة: ٣٦]. وشرَّف الله تعالى هذا الشهر من بين سائر الشهور فسُمِّي بشهر الله المحرم، فأضافه إلى نفسه تشريفًا له، وإشارة إلى أنه حرَّمه بنفسه، وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريم الله تعالى لهذه الأشهر الحرم ومن بينها شهر المحرم فيما رواه أَبو بَكْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ) (متفق عليه). وما حرَّم الله تبارك وتعالى أو حرَّمه رسوله صلى الله عليه وسلم مبلغًا عنه لا يجوز لأحد تحليله، فانتبهوا أحبتي في الله.

ومن أهم ما أذكر به نفسي وإخواني في هذا المقام أن الله تعالى حرَّم القتال فيه حتى مع المشركين فما بالنا بمن يتجرأ فيه على قتال إخوانه من المسلمين، فتجتمع حرمة قتال المسلم مع حرمة شهر الله المحرم، أعاذنا الله وإياكم من الجرأة على حرماته، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

٢- فضل صيامه:

أما عن فضل صيامه فقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل صيام شهر الله المحرم بقوله في حديثنا الذي نعيش معه: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم)، فأرشد عليه الصلاة والسلام إلى الترغيب من الإكثار من الصوم فيه عمومًا فضلاً عن أنه خصه بيوم من نفحات الدهر التي تكرم الله بها على هذه الأمة وهو يوم عاشوراء.

عاشوراء نفحة من أيام الدهر:

وهو اليوم العاشر من شهر المحرم، وأفضل ما ورد في فضله قول النبي- صلى الله عليه وسلم- كما في حديث قتادة- رضي الله عنه-: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» [مسلم في صحيحه برقم (١١٦٢)].

ومما ورد في فضل هذا الشهر أنه حصل فيه حدث عظيم، ونصر مبين، أظهر الله فيه الحق على الباطل؛ حيث أنجى فيه موسى- عليه السلام- وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فهو يوم له فضيلة عظيمة، ومنزلة قديمة، روى ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قدم النبي- صلى الله عليه وسلم- المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟»، قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه». [البخاري في صحيحه برقم (١٩٠٠)].

يُستحب صيام التاسع مع العاشر

فعن عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» [مسلم في صحيحه برقم (١١٣٤)]. قال صاحب عون المعبود: «قال الشافعي، وأصحابه، وأحمد، وإسحاق، وآخرون- رحمهم الله-: «يستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- صام العاشر ونوى صيام التاسع، قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر» [عون المعبود (٧/ ٧٧)].

لماذا نصوم في المحرم؟

الإكثار من الصيام في شهر الله المحرم، وصيام يوم عاشوراء:

١- اقتداءً بالنبي- عليه الصلاة والسلام- ، وذلك لأن النبي- عليه الصلاة والسلام- صامه وحث على صيامه.

٢- وكذا جعل الله- عز وجل- في صيامه وصيام يوم عاشوراء منه فضلاً عظيمًا كما سبق بيانه، وذلك لكونه يكفّر ويغفر الله به، وهذا من فضل الله- تبارك وتعالى- ورحمته لأن أعمار هذه الأمة قصيرة.

٣- الحرص على مخالفة أهل الكتاب، ولذا أمر النبي- عليه الصلاة والسلام- بمخالفتهم لأنهم كانوا يصومون العاشر، فقال- عليه الصلاة والسلام-: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»، وقد تقدم هذا الحديث.

المحور الثاني: فضل صلاة الليل:

أما عن فضل قيام الليل فدونك كلام مختصر مهذب من كلام الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف (١/ ٤٣)، يقول ابن رجب: (وقد دل حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا على أن أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل، وهل هو أفضل من السنن الراتبة؟ فيه خلاف سبق ذكره.

وقد مدح الله تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته فقال الله تعالى: « تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [السجدة: ١٦، ١٧] وقال الله تعالى: « أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» [الزمر: ٩]

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إلاَّ قَلِيلاً» [البخاري ١١٢٢].

إن سفر الآخرة بعيد فخذوا له ما يصلحكم: صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور.

يا رجال الليل جدوا
رُبَّ داعٍ لا يُرَدّ
ما يقوم الليل إلا
من له عزم وجِد

أيها الحبيب:
الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة، فما يطلع فجر الأجر إلا وقد حاز القوم الغنيمة، وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى، وما عند أهل الغفلة والنوم خبر مما جرى.

يا نفس قومي فقد نام الورى
اصنعي الخير فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى...
عند الصباح يحمد القوم السرى

ما يؤهل للخلوة بالملوك إلا من أخلص في ودهم ومعاملتهم فأما من كان من أهل المخالفة فلا يؤهلونه!!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ فِي أُذُنِه. [متفق عليه، خ: (١/ ٣٨٤)(١٠٩٣)، م: (١/ ٥٣٧) (٧٧٤)]

إن قوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا، وواعظ الخير ينادينا قائلاً:

يا راقد الليل كم ترقد
قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وفي الختام: اللهم ارزقنا وإخواننا ومن نعرف من المسلمين حسن الرجوع إليه ويمن القدوم عليه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

القسم الثاني

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة السادسة عشرة

١٦٩- «كما تكونوا كذلك يُؤَمَّر عليكم».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦/٢٢) (ح٧٣٩١) ط دار الكتب العلمية عن أبي إسحاق مرسلاً، وقال البيهقي: «هذا منقطع، وراويه يحيى بن هاشم وهو ضعيف». اهـ

وإلى القارئ الكريم بيان درجة الضعف؛ حيث قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٢٥) ط دار الوعي بحلب: يحيى بن هاشم السمسار من أهل بغداد كان ممن يضع الحديث على الثقات، ويروي عن الأثبات الأشياء المعضلات، لا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب لأهل الصناعة. اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٤١٢/٩٦٤٣): «كذبه ابن معين، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال ابن عدي: كان ببغداد يضع الحديث ويسرقه.

وأورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص٢١٠) كتاب الجهاد والأئمة بلفظ: «كما تكونوا يُولى عليكم، أو يُؤمر عليكم»، وقال: «في إسناده وضاع، وفيه انقطاع». اهـ.

١٧٠- «الناسُ على دينِ مُلوكهم».

الحديث لا أصل له، أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح١٢٣٦) ط «دار الكتب العلمية ببيروت»، وقال: «لا أعرفه حديثًا»، وأقره الشوكاني في «الفوائد» (ص٢١٠).

١٧١- «مَن قادَ أعمى أربعينَ خُطوةً، غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّمَ من ذنبِه».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الصغاني في «الموضوعات» (ح٥٧) وقال: حديث موضوع.

قلتُ: والحديث أخرجه الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (ح٥٧) وقال: حديث موضوع. وأخرجه في «الحلية» (٣/١٥٨) عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة». وفيه علي بن عروة ؛ كذاب كان يضع الحديث كما في «الميزان» (٣/١٤٥/٥٨٩١).

١٧٢- «مَن وُلد له مولودٌ فأذن في أُذنه اليُمنى وأقام في أُذنه اليُسرى لم يضره أم الصبيانِ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٢/١٥٠) (ح٦٧٨٠) ط «دار المأمون للتراث» من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب مرفوعًا، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٦٢٣)، وهو مسلسل بالعلل، جبارة بن مُغلس ضعيف، ويحيى بن العلاء متهم بالوضع، ومروان بن سالم متروك منكر الحديث جدًا، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/٢٧٤/١٢٥٥): «سألت أبي عن

مروان بن سالم فقال: «منكر الحديث جدًا».

١٧٣- «مَن وسَّع على عياله يوم عاشوراء لَم يَزل في سعة سائر سنيه».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/٩٤) (ح١٠٠٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وآفته الهيثم بن الشداخ، وأخرج له ابن حبان في «المجروحين» (٣/٩٧) هذا الحديث وقال: شيخ يروي عن الأعمش الطامات في الروايات، لا يجوز الاحتجاج به.

١٧٤- «بَشِّر القاتلَ بالقتلِ، ولو بعد حين، وبشر الزاني بالفقر».

الحديث لا يصح: أورده السمهودي في «الموضوعات» (ص٧٦) ط «دار الكتب العلمية بيروت» وقال: «لا يُعرَف في كتب الحديث»، والحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٢٩٣) وقال: «لا أعرفه».

تنبيه: قد يتوهم من لا دراية له بأصول السنة لعدم صحة هذا الخبر أن سافكي الدماء، وهاتكي الأعراض يُتركون سدَى ولكن هيهات، فقد أخرج الإمام البخاري (ح٤٦٨٦)، والإمام مسلم (ح٢٥٨٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ: «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [هود : ١٠٢]، فالحديث متفق عليه في أعلى مراتب الصحة .

١٧٥- رُوي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزواتٍ ما نأكل فيهن إلا الجراد».

الحديث لا يصح، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/٧٧) (٩/١٩٩٨)، وآفته الوليد بن أبي ثور، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/٧٩): «منكر الحديث جدًا، في أحاديثه أشياء لا تشبه أحاديث الأثبات حتى إذا سمعها مَن الحديث صناعته علم أنها معمولة أو مقلوبة». اهـ.

١٧٦- «من تزوَّج قبل أن يحج فقد بدأ بالمعصية».

الحديث لا يصح أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٣٦٤) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢١٣) وقال: هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان : كان محمد بن أيوب يروي الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به، فأما أبوه- يعني أيوب بن سويد- فقال يحيى: ليس بشيء. اهـ.

قلت: روى محمد هذا الحديث عن أبيه، وبالبحث وجدنا أن هذا القول في «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» السؤال (٦٠٠) قال: سألت أبا زكريا يحيى بن معين عن أيوب بن سويد الرملي؟ فقال: «ليس بشيء»، وأورد الحديث ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/١٦٧)، وذكر علة ثالثة: أحمد بن جمهور الراوي عن محمد بن أيوب وهو متهم بالكذب.

الأُخُوَّة بين المسلمين

فضيلة الشيخ/ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ
إمام المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة
إعداد/

الحمد لله وليِّ المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملكُ الحقُ المبين، وأشهد أن نبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه النبيُّ الأمين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فيا أيها المُسلمون: أُوصيكم ونفسي بخير وصيَّة، ألا وهي: تقوى الله- جل وعلا- ؛ فهي خيرُ زادٍ ليوم المعاد.

تحقيق الأخوة من أصول الإيمان:

إخوة الإسلام: من أُصول الإيمان وقواعد الإسلام: تحقيقُ الأُخُوَّة الإيمانيَّة بين المُسلمين، ونَشر المودَّة في مُجتمعات المؤمنين، قال- جل وعلا-: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: ١٠]، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «المسلم أخُو المسلم».

معاشر المسلمين: وإن هذا الأصل العظيم والمبدأ المتين يقتَضي حقوقًا وواجبات، ويتطلَّبُ مسؤوليَّات والتزامات، يقول ربُّنا- جل وعلا-: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [التوبة: ٧١].

إنها أُخُوَّةٌ تقتَضي أن يسيرَ المسلم في حياته تجاهَ المسلمين بكل مَسلكٍ كريمٍ وفعلٍ قويم، قال- صلى الله عليه وسلم-: «لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

إنها الأُخُوَّة التي تحملُ الصدقَ من القلبِ في جلب المصالح والمنافع إلى المسلمين، ودرءِ الشُرور والأذى عن المؤمنين، قال- جل وعلا-: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) [الأحزاب: ٥٨]، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «المسلمُ من سلِمَ المسلمون من لسانه ويدِه».

فضائل الأخوة بين المؤمنين:

إخوة الإيمان: إن الأُخُوَّة الإيمانية أصلٌ كبيرٌ في الإسلام، يُزاولُه المسلمُ في علاقته بإخوانه المسلمين ومُجتمعه المُسلم مُزاولةً عباديَّة، ويُمارسُها كشعيرة من شعائر الإيمان، يقومُ بها المسلم كفَريضة عظيمة لا يدفعُه غرضٌ نفعيٌّ ولا مصلحةٌ ذاتيَّة.

وبهذا يصيرُ المُجتمع المسلم كما أرادَه الشرعُ العظيم كالبُنيان الواحد يشدُّ بعضُه بعضًا، كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «المؤمنُ للمُؤمن كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا». وشبَّك بين أصابعه.

إنها أُخُوَّة تتطلَّبُ التضحيَة والفداء، والتعاطُف والتراحُم، واللُّطف والرِّفقَ، وغيرَها من المعاني والمسالك الكريمة التي دعا إليها المُصطفى- صلى الله عليه وسلم- في قوله: «مثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم كمثَل الجسَد الواحد، إذا اشتكَى منه عضوٌ تداعَى له سائرُ الجسَد بالسهَر والحُمَّى».

معاشر المسلمين: ومن مُنطلقات هذه الثوابت الإيمانية والأصول الإسلامية فإن أمة الإسلام مُطالبَةٌ أن تُحافظ على وحدتها الإسلامية، وصفها الإيمانيِّ، وأن تحذَر من مكر الأعداء ومُخططاتهم في تفريق الصُّفُوف، وتمزيق وحدة المسلمين، وبث وسائل العداوة بينهم، ونشر عناصر البَغضاء في مُجتمعاتهم: (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) [آل عمران: ١١٨].

إن ما تُعانيه أمة المسلمين اليوم من تفرُّق المُجتمع الواحد، وانتشار ثقافَة العداوَة والبَغضاء في مُجتمع واحدٍ حتى آلَ الأمرُ إلى حمل بعضهم السلاحَ على بعضٍ لأمرٍ جليلٍ لا يُرضِي ربَّ العالمين، ولا يستقيمُ مع أحكام الدِّين، ولا يتَّفق مع وصايا سيِّد الخلق- عليه أفضل الصلاة والتسليم- .

يقول- صلى الله عليه وسلم-: «من حمل علينا السلاح فليس منَّا»، ويقول في حديث آخر: «لا يُشيرُ أحدُكم على أخيه بالسِّلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزَغُ في يده فيقَع في حُفرةٍ من النار».

التحذير من أسباب التفرق وعوامل الفتن:

أمة الإسلام: احذَروا من أسباب التفرُّق، تجنَّبوا عوامل الفتن، احذَروا من أفعالٍ تُؤدِّي إلى مفاسد لا تُحصَى، وشرور لا تتناهَى من سفك الدماء، وهَتك الأعراض، وإفساد المكاسب، وخَلخَلة الصف، وزوال هيبَة مُجتمع المُسلمين، والأعداءُ ينظرون فرِحين مُستبشِرين.

فذلكم ما يقعُ في الأمة، ذلك هو بُغيةُ الأعداء وهدفُهم ومقصدُهم وغرضُهم: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

تكفير عامة المسلمين بلا دليل من أعظم أسباب الفتن:

إخوة الإسلام: من أعظم أسباب الفتن التي يجبُ الحذرُ منها والبُعد عنها: السعيُ بالتكفير لعامة المسلمين بدون بُرهانٍ ربَّانيٍّ ولا سُلطانٍ نبويٍّ، إنما من جرَّاء عاطفةٍ دينيَّةٍ لا تحملُ دليلاً شرعيًا، ولا بُرهانًا ربَّانيًا.

فما حلَّت النَّكبات ولا وقعَت المُثلات في المسلمين عبر التاريخ إلا بمثلِ تلك المسالكِ الهَوجاء، والمناهِج العَوجاء.

يقول- صلى الله عليه وسلم- مُخاطبًا بخطابٍ صريحٍ يفهمُه كل أحد: «من صلَّى صلاتَنا، واستقبلَ قبلتَنا، وأكلَ ذبيحَتَنا فذلك المسلم الذي له ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله». والحديثُ في صحيح البخاري.

ويقول- صلى الله عليه وسلم-: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذُلُه ولا يحقِره، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمُه ومالُه وعرضُه».

حرص المؤمنين على سلامة صدورهم تجاه إخوانهم:

معاشر المسلمين: من أمارات التوفيق، وعلامات السعادة: أن يكون المسلم سببًا للألفة وعاملاً لجمع الكلمة ووحدة الصف.

وإن من الخُذلان وأمارات الخُسران: السعيَ بالإفساد بين المسلمين، ونَشرَ أسباب العداوة بينهم، يقول ربُّنا- جل وعلا-: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

ويقول- صلى الله عليه وسلم-: «ألا أخبرُكم بأفضل من درجَة الصيام والصدقة والصلاة؟!». قالوا: بلى. قال: «إصلاحُ ذات البَيْن».

إخوة الإسلام: إن الإسلام وهو يؤكِّدُ على تحريم الأُخوَّة الإيمانية ليُحرِّم تحريمًا أكيدًا أن يحملَ المسلم البغضاءَ للمؤمنين والعداوةَ للمسلمين، مما يُثيرُ فتنًا لا تُحصَى، قال- صلى الله عليه وسلم-: «لا تباغَضوا، ولا تحاسَدوا، ولا تدابَروا، ولا تقاطَعوا»

وقال- صلى الله عليه وسلم-: «تفتَحُ أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفَرُ لكل عبدٍ لا يُشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شَحناء، فيُقال: أنظروا هذين حتى يصطلحَا».

فينبغي لكل مسلم أن يحرص على سلامة قلبه من الغل لإخوانه المسلمين، مهما اختلفَ معهم في وجهات النَّظر.

يجبُ عليه أن يُحبَّ لهم كل خيرٍ وصلاحٍ ونفعٍ، فنبيُّنا- صلى الله عليه وسلم- يقول: «من أحبَّ أن يُزحزحَ عن النار ويُدخَل الجنة فلتأته منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحبُّ أن يُؤتَى إليه».

الحج الذي مر من قريب:

يا أيها المسلمون: إن فريضةَ الحجِّ فريضةٌ تبرُزُ فيها مقاصدُ الشريعة في تحقيق الأُخوَّة بين المسلمين، وإشاعة المودَّة بين المؤمنين، فانتهزوا- أيها الحجَّاج- ، انتهزوا- أيها المسلمون- هذه الفريضةَ العظيمة لتحقيقِ الإخاء بينكم.

فعلى الحاجِّ أن يُظهر في هذه الفريضة الحرصَ على التخلُّق بكل خُلُقٍ كريمٍ ومسلكٍ قويم، عن جابر عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «أفضلُ الإيمان عند الله- عزَّ وجل-: إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيل الله، وحجٌّ مبرورٌ»، فسُئل عن الحجِّ المبرُور. فقال: «إطعامُ الطعام، وطيبُ الكلام». رواه أحمد. وهو حديثٌ حسنٌ عند العلماء.

وفي خُطبة حجَّة الوداع ذكَر النبي- صلى الله عليه وسلم- المسلمين بمقاصد عُظمَى وغاياتٍ كُبرى، من أهمِّها: العنايةُ بتحقيق الأُخُوَّة بين المسلمين، «إن أموالَكم وأنفسَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرمة يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا».

فالأذيَّةُ بالمسلم والضَّجَرُ بالمؤمن أمرٌ كبيرٌ عند الله- جل وعلا- ، ومما يُضادُّ مقاصد هذه الفريضة العظيمة.

وردَ في حديثِ أنسٍ قال: سمعتُ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو مُنافِقٌ، وإن صامَ وصلَّى وحجَّ واعتمرَ وقال: إني مُسلم؛ إذا حدَّث كذب، وإذا وعدَ أخلَف، وإذا اؤتُمِن خان». رواه أبو يعلى، وحسَّنه جمعٌ من المحقِّقين.

ثم إن الله- جل وعلا- أمرَنا بأمرٍ عظيم، ألا وهو: الصلاةُ والسلامُ على النبي الكريم، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك وأنعِم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.



المجاهد الجوّاد: طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. أما بعد: فإن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة. وهو أحد أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلاً: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح:٢٩).

من أجل ذلك أحببت أن أُذَكِّر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرته العطرة، لعلنا نسير على ضوئها فنسعد في الدنيا والآخرة. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

اسمه ونسبه:

هو: طلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. ويُكنى أبا محمد. ويُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفيَّاض.

أمه: الصَّعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٠).

أولاد طلحة بن عبيد الله:

رُزق اللهَ تعالى طلحة باثني عشر ولدًا؛ تسع من الذكور، وقد سماهم بأسماء الأنبياء، وهم: محمد، وعِمران، وموسى، ويعقوب، وإسماعيل، وإسحاق، وعيسى، ويحيى، وصالح. وثلاث من الإناث، وهن: أم إسحاق، والصَّعبة، ومريم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٠).

حدث عنه بنوه: يحيى، وموسى، وعيسى، ومن غيرهم: السائب بن يزيد، ومالك بن أوس بن الحدثان، وأبو عثمان النهدي، وقيس بن أبي حازم، ومالك بن أبي عامر الأصبحي، والأحنف بن قيس التميمي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وآخرون. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ص٢٤).

إسلام طلحة بن عبيد الله:

روى ابنُ سعد عن طلحة بن عُبيد الله قال: حضرت سوق بُصرى (ببلاد الشام) فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: فقلت: نعم أنا، فقال: هل ظهر أحمد بعدُ؟ قال: قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحَرَّة وسباخ، فإياك أن تُسبَق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعًا حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم؛ محمد

بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة، قال فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، فقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلقْ إليه فادخل عليه فاتبعه، فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب، فَسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل بن خويلد يُدعَى أسد قريش، فلذلك سُمي أبو بكر وطلحة القرينين. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦١).

هجرة طلحة بن عبيد الله إلى المدينة:

هاجر طلحة بن عُبيد الله إلى المدينة، فلما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، آخى بين طلحة وأبي أيوب الأنصاري. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٢ص٢٢١).

علم طلحة بن عبيد الله:

روى طلحة بن عُبيد الله ثمانية وثلاثين حديثًا، اتفق الشيخان على حديثين، انفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة أحاديث. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ص٢٤).

صفات طلحة بن عبيد الله الخَلقية:

كان طلحة رجلاً آدم (أسمر) كثير الشعر ليس بشديد الجعودة ولا بالسبط (الناعم) حسن الوجه، دقيق الأنف، إذا مشى أسرع، وكان لا يغير شعره. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٤).

جهاد طلحة بن عبيد الله:

لم يشهد طلحة بن عُبيد الله بدرًا؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله ومعه سعيد بن زيد في مهمة عسكرية.

روى ابنُ سعد عن حارثة الأنصاري: لما تحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصول عير قريش من الشام بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسبان خبر العير، فخرجا حتى بلغا الحوراء فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت بهما العير، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد إليه فندب أصحابه وخرج يريد العير فسارت عير قريش نحو الساحل، وأسرعت وساروا الليل والنهار فَرَقًا (خوفًا) من الطلبة، وخرج طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يريدان المدينة ليخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العير ولم يعلما بخروجه فقدما المدينة في اليوم الذي لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفير من قريش ببدر فخرجا من المدينة يعترضان رسول الله فلقياه منصرفًا من بدر فلم يشهد طلحة وسعيد الوقعة وضرب لهما رسول الله بسهامهما وأجورهما في بدر فكانا كمن شهدها. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٢).

وشهد طلحة أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاءًا عظيمًا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه واتقى عنه النبل بيده حتى شلت إصبعه وضرب على رأسه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى صعد الصخرة. (أسد الغابة لابن الأثير ج٢ص٤٧٦).

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَدْرَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَنْتَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: أَنْتَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ كَمَا أَنْتَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ أَنْتَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ. (حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي ج٢ص ٣٨٧).

٢- عن عائشة وأم إسحاق ابنتي طلحة بن عُبيد الله قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعًا وعشرين جراحة وقع منها في رأسه شجة مربعة وقطع نساه (يعني عرق النسا) وشلت إصبعه وسائر الجراح في سائر جسده، وقد غلبه الغشي ورسول الله صلى الله عليه وسلم مكسورة رباعيتاه مشجوج في وجهه قد علاه الغشي، وطلحة محتمله يرجع به القهقرى (إلى الخلف)، كلما أدركه أحدٌ من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشِّعْب (اسم مكان). (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٣).

مناقب طلحة بن عبيد الله:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ(اسم جبل) هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ. (مسلم حديث:٢٤١٧).

٢- وعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ:كَانَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ فَصَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَوْجَبَ طَلْحَةُ. (حسنه

الألباني في صحيح سنن الترمذيّ حديث:١٣٨٣)
٣- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. (حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذيّ حديث:٢٩٤٠).
٤- وعَنْ عَمِّهِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ. (حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث:٢٥٥٩).

طلحة بن عبيد الله أحد أصحاب الشورى:

قال عمر بن الخطاب: والله لوددت أني خرجت منها كفافًا، لا عليَّ، ولا لي، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي، ولو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من هول المطلع، وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢٦).

كرم طلحة بن عبيد الله:

١- عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة بن عُبيد الله، أنه أتاه مال من حضرموت سبع مئة ألف، فبات ليلته قلقًا. فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنتَ عن بعض أخلائك؟ فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فَقَسِّمه. فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت مُوفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علي بن أبي طالب منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١ص٣٠:٣١).
٢- قال علي بن زيد: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحدٌ قبلك، إن لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان ثلاث مئة ألف، فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن، فأعطاه. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ص٣١).
٣- قال محمد بن إبراهيم: كان طلحة بن عُبيد الله يغل (الغلة والمحصول) (ما يحصل عليه) بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقل أو أكثر وبالأعراض له غلات وكان لا يدع أحدًا من بني تيم عائلاً (محتاجًا) إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله وزوج أياماهم وأخدم عائلهم وقضى ديْن غارمهم، ولقد كان يرسل إلى عائشة، رضي الله عنها، إذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف ولقد قضى عن صبيحة التيمي ثلاثين ألف درهم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٦).

موقعة الجمل:

أخي الكريم: من عقيدتنا في الصحابة الكرام : وجوب السكوت عما يشينهم ، وعدم الخوض في الفتن التي جرت بينهم رضوان الله عليهم جميعًا، وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان ، ونعتقد أن فتنة الجمل قد تمت من غير اختيار من علي بن أبي طالب ، ولا من طلحة بن عبيد الله ، ولا من الزبير بن العوام رضي الله عنهم ، وأن عائشة رضي الله عنها خرجت للإصلاح بين المسلمين ، مع العلم بأنهم جميعًا من الذين بشرهم رسول الله بالجنة.

وفاة طلحة بن عبيد الله:

قُتِلَ طلحة بن عبيد الله يوم موقعة الجمل وكان يوم الخميس، العاشر من جمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين وكان عمره أربع وستين سنة، ودُفِنَ، بمدينة البصرة بالعراق. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٨).

أخوة الإسلام بين علي وطلحة:

١- رأى عليٌّ بن أبي طالب، طلحة بن عبيد الله، في واد مُلقى (وهو ميت) فنزل عليٌّ فمسح التراب عن وجهه (وكان بينهما قتال) فقال: عزيزٌ عليَّ يا أبا محمد بأن أراك مجندلاً في الأودية، تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجري وبُجري(سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي) (سير أعلام النبلاء ج١ص٣٦).
٢- قال أبو حبيبة مولى طلحة بن عبيد الله: دخل عمران بن طلحة على عليِّ بن أبي طالب بعدما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به، وقال: إني لأرجو أي يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)(الحجر: ٤٧)، قال: ثم قال لعمران: كيف أهلكَ من بقي من أمهات أولاد أبيك؟ أما إنا لم نقبض أرضكم هذه السنين ونحن نريد أن نأخذها إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس يا فلان: اذهب معه إلى ابن قرظة فمره فليدفع إليه أرضه وغلة هذه السنين. يا ابن أخي: إن كانت لك حاجة فأتنا. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٨).

تركة طلحة بن عبيد الله:

عن سُعدى بنت عوف، أم يحيى بن طلحة قالت: قُتِلَ طلحة بن عُبيد الله وفي يد خازنه ألفا ألف درهم، ومئتا ألف درهم، وقُوِّمت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٦٨).
رَحِمَ اللهُ طلحة بن عُبيد الله رحمةً واسعةً، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يوم الدين.

باب الفقه

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة



إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد تكلمنا في عدد سابق من المجلة عن حكم قراءة الفاتحة في الصلاة للإمام والمنفرد، وقد رجحنا قول الجمهور بركنية قراءة الفاتحة للإمام والمنفرد، وبطلان الصلاة بترك قراءتها، ونبدأ في هذه الحلقة الكلام عن حكم قراءة الفاتحة في الصلاة للمأموم خلف الإمام فنقول وبالله التوفيق:

أولا: أقوال أهل العلم في المسألة:

اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قِرَاءَةِ الْمَأْمُومِ خَلْفَ الإِمَامِ عَلَى ثَلاَثَة أَقْوَالٍ:

١- فَذَهَبَ الْمَالكيَّةُ وَالْحَنَابلَةُ إِلَى أَنَّهُ لاَ تَجبُ الْقِرَاءَةُ عَلَى الْمَأْمُومِ، سَوَاءٌ كَانَت الصَّلاَةُ جَهْرِيَّةً أَوْ سرِّيَّةً، وَنَصَّ الْمَالكيَّةُ وَالْحَنَابلَةُ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ للْمَأْمُوم قرَاءَةُ الْفَاتحَة في السِّرِّيَّة. وَعَن الإِمَامِ أَحْمَدَ رِوَايَةٌ أَنَّهَا تَجبُ في صَلاَة السِّرِّ، وَهُوَ قَوْل ابْنِ الْعَرَبِيِّ منَ الْمَالكيَّة حَيْثُ قَال بلُزُومهَا للْمَأْمُوم في السِّرِّيَّة.

٢- ذَهَبَ الْحَنَفيَّةُ إِلَى أَنَّ الْمَأْمُومَ لاَ يَقْرَأُ مُطْلَقًا خَلْفَ الإِمَام حَتَّى في الصَّلاَة السِّرِّيَّة، وَيُكْرَهُ تَحْرِيمًا أَنْ يَقْرَأَ خَلْفَ الإِمَام، فَإِنْ قَرَأَ صَحَّتْ صَلاَتُهُ في الأَصَحِّ.

٣- ذَهَبَ الشَّافعيَّةُ إِلَى وُجُوب قرَاءَة الْفَاتحَة عَلَى الْمَأْمُوم في الصَّلاَة مُطْلَقًا سرِّيَّةً كَانَتْ أَوْ جَهْرِيَّةً. [الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣/٥٣].

ثانيا: أسباب الاختلاف:

قال الإمام ابن رشد: وَالسَّبَبُ في اخْتلاَفهمْ: اخْتلاَفُ الأَحَاديث في هَذَا الْبَاب وَبنَاءُ بَعْضهَا عَلَى بَعْض، وَذَلكَ أَنَّ في ذَلكَ خَمْسَةَ أَحَاديثَ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - «لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بفَاتحَة الْكتَاب»، وَمَا وَرَدَ منَ الأَحَاديث في هَذَا الْمَعْنَى.

وَالثَّاني: مَا رَوَى مَالكٌ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - انْصَرَفَ منْ صَلاَة جَهَرَ فيهَا بالْقرَاءَة فَقَالَ: هَلْ قَرَأَ مَعي منْكُمْ أَحَدٌ آنفًا، فَقَالَ رَجُلٌ: نَعَمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه: إِنِّي أَقُولُ مَا لي أُنَازَعُ الْقُرْآنَ «فَانْتَهَى النَّاسُ عَن الْقرَاءَة فيمَا جَهَرَ فيه رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -.

وَالثَّالثُ: حَديثُ عُبَادَةَ بْن الصَّامت قَالَ: «صَلَّى بنَا رَسُولُ اللَّه صَلاَةَ الْغَدَاة، فَثَقُلَتْ عَلَيْه الْقرَاءَةُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: إِنِّي لأَرَاكُمْ تَقْرَءُونَ وَرَاءَ

الإمام، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلُوا إِلاَّ بِأُمِّ الْقُرْآنِ».

وَالْحَدِيثُ الرَّابِعُ: حَدِيثُ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَتُهُ لَهُ قِرَاءَةٌ».

وَالْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَهُوَ مَا رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: - «إِذَا قَرَأَ الإِمَامُ فَأَنْصِتُوا».

ثالثًا: وجه الجمع بين هذه الأحاديث:

اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وَجْهِ جَمْعِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ:

١- مِنَ النَّاسِ مَنِ اسْتَثْنَى مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْقِرَاءَةِ فِيمَا جَهَرَ فِيهِ الإِمَامُ قِرَاءَةَ أُمِّ الْقُرْآنِ فَقَطْ اعتمادًا على حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.

٢- وَمِنْهُمْ مَنِ اسْتَثْنَى مِنْ عُمُومِ قَوْلِهِ- عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» الْمَأْمُومَ فَقَطْ فِي صَلاَةِ الْجَهْرِ؛ لِمَكَانِ النَّهْيِ الْوَارِدِ عَنِ الْقِرَاءَةِ فِيمَا جَهَرَ فِيهِ الإِمَامُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأعراف:٢٠٤]، قَالُوا: وَهَذَا إِنَّمَا وَرَدَ فِي الصَّلاَةِ.

٣- وَمِنْهُمْ مَنِ اسْتَثْنَى الْقِرَاءَةَ الْوَاجِبَةَ عَلَى الْمُصَلِّي الْمَأْمُومِ فَقَطْ سرًا كَانَتِ الصَّلاَةُ أَوْ جَهْرًا، وَجَعَلَ الْوُجُوبَ الْوَارِدَ فِي الْقِرَاءَةِ فِي حَقِّ الإِمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ فَقَطْ مصيرًا إِلَى حَدِيثِ جَابِرٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، فَصَارَ عِنْدَهُ حَدِيثُ جَابِرٍ مُخَصِّصًا لِقَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - «وَاقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ فَقَطْ». [بداية المجتهد، بتصرف ١/١٢٢].

ثالثًا: أدلة من قال: لا قراءة على المأموم خلف الإمام والرد عليها:

أولاً: الكتاب:

قال الله تعالى: « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأعراف:٢٠٤]، قال الإمام أحمد: «أجمع الناس على أن هذه الآية في الصلاة»، وهي تأمر بالاستماع والإنصات. [الفقه الإسلامي وأدلته ٢/٢٦].

قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ نَقْلاً عَنِ الْبَحْرِ: وَحَاصِلُ الآيَةِ: أَنَّ الْمَطْلُوبَ بِهَا أَمْرَانِ: الاسْتِمَاعُ وَالسُّكُوتُ فَيُعْمَلُ بِكُلٍّ مِنْهُمَا، وَالأَوَّلُ يَخُصُّ بِالْجَهْرِيَّةِ وَالثَّانِي لاَ، فَيَجْرِي عَلَى إِطْلاَقِهِ فَيَجِبُ السُّكُوتُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ مُطْلَقًا. [حاشية ابن عابدين ١/٣٦٦].

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإذا كانوا مشغولين عنه بالقراءة فقد أمر أن يقرأ على قوم لا يستمعون لقراءته، وهو بمنزلة أن يحدث من لم يستمع لحديثه، ويخطب من لم يستمع لخطبته، وهذا سفه تنزه عنه الشريعة؛ وذلك لأنه لا يعقل أن يأمر الشارع بالإنصات ثم يأمر بقراءة الفاتحة. [الفتاوى الكبرى - ابن تيمية ٢/٢٨٦].

فالجواب: أن هذه الآية عامّة تشملُ الإنصاتَ في كلِّ مَنْ يُقرأ عنده القرآنُ، وتخصّص بالفاتحة، فإنه لا يسكت إذا قرأ إمامه، ويدلُ لهذا ما رواه أهل السُّنن من حديث عُبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: صَلّى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعض الصّلوات التي يُجهر فيها بالقراءة، فالتبستْ عليه القراءةُ، فلما انصرف؛ أقبل علينا بوجهه وقال: «هل تقرؤون إذا جهرتُ بالقراءة؟» فقال بعضنا: إنا نصنعُ ذلك، قال: «فلا، وأنا أقول: ما لي يُنازعُني القرآنُ، فلا تقرؤوا بشيءٍ من القرآن إذا جهرتُ؛إلا بأمِّ القرآن». [رواه أبو داود: ٨٢٤].

وهذا نصٌّ في محلِّ النزاع؛ فيكون فاصلاً بين المتنازعين؛ لأنه جاء في صلاة جهرية فيؤخذ به.

وأما قول الإمام أحمد رحمه الله: «أجمعوا على أنّها في الصّلاة». فالظاهر لي - والله أعلم -، أن مراده رحمه الله لو قرأ قارئ ليس إمامًا لي فإنه لا يجب عليَّ الاستماع له، بل لي أن أقومَ وأنصرف، أو أشتغل بما أنا مشتغل به. [الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/٢٩٨].

قلت: وكلام شيخ الإسلام حسن عقلاً إلا أنه يصادم النقل الوارد في حديث عبادة بن الصّامت رضي الله عنه. قال الشيخ ابن عثيمين: وأما قولهم: إنّه لا فائدة من جَهْر الإمام إذا ألزمنا المأموم بالقراءة، فنقول: هذا قياسٌ في مقابلة النصّ، والقياس في مقابلة النصِّ مُطّرح. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/٢٩٨).

ثانيًا: السنة:

١- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «من صلى خلف إمام، فإن قراءة الإمام له قراءة» وهذا عامٌ يشمل الصّلاة السرية والجهرية، وهو نصٌ في أنّ قراءةَ الإمام قراءةٌ له. -أي أنه نص في محل النزاع - ولكن؛ هذا الحديثُ لا يصحُّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما قال الحافظ ابنُ حَجَر في «الفتح»: «إنه ضعيفٌ عند الحفّاظ» «فتح الباري» (٢/٢٤٢). وإذا كان ضعيفًا سَقَطَ الاستدلالُ به؛ لأنّ صحّةَ الاستدلال بالحديث لها شرطان:

الشرط الأول: صحّةُ الحديثِ إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

الشرط الثاني: صحّةُ الدلالة على الحُكم، فإنْ لم يصحّ عن الرسول صلّى الله عليه وسلّمَ فهو مرفوضٌ، وإن صحّ ولم تصحّ الدّلالة فالاستدلال به مرفوضٌ.(الشرح الممتع على زاد المستقنع ٤/١٧٧)

٢-حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا» رواه الخمسة إلا الترمذي، احتج بذلك القائلون أن المؤتم لا يقرأ خلف الإمام في الصلاة الجهرية فقط. [نيل الأوطار - الشوكاني ٢٣٦/٢].

أما قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (وإذا قرأ فأنصتوا) فهذه اللفظة قد قال البيهقي (أجمع الحفاظ على خطأ هذه اللفظة) وذلك لتفرد سليمان التيمي عن قتادة بها، وعامة أصحاب قتادة - كهمام وهشام الدستوائي وحماد بن سلمة وغيرهم - لم يذكروا هذه اللفظة في حديثه، وممن أعلها البخاري وأبو داود وأبو حاتم وغيرهم. وعلى القول بتصحيحها فالجواب عنها: أنها عامة وحديث عبادة خاص.(شرح الزاد للحمد ٩٧/٧).

قلت: ويمكن أن يجاب عنه أيضا بما أجيب به عن الآية.

٣-حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: هل قرأ معي أحد منكم آنفا فقال رجل: نعم يا رسول الله، قال: فإني أقول ما لي أنازع القرآن قال: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يجهر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ مَالِكٍ رحمه الله في تَرْكِ الْمَأْمُومِ الْقِرَاءَةَ خَلْفَ الإِمَامِ فِي حَالِ الْجَهْرِ؛ لأَنَّهُ لَمَّا عَلَّقَ حُكْمَ الامْتِنَاعِ مِنْ الْقِرَاءَةِ عَلَى الْجَهْرِ كَانَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْجَهْرَ عِلَّةُ ذَلِكَ الْحُكْمِ (المنتقي شرح الموطأ للباجي ٢٠٠/١).

وأجابوا عن ذلك بأن: قوله (فانتهى الناس عن القراءة) مدرج في الخبر كما بينه غير واحد من أهل العلم قال النووي: ليست من كلام أبي هريرة، بل هي من كلام الزهري مدرجة في الحديث، وهذا لا خلاف فيه بينهم قال ذلك الأوزاعي. (المجموع ٣٨٦/٣).

وليس في هذا الحديث ما يدخل على من رأى القراءة خلف الإمام،لأن أبا هريرة هو الذي روى هذا الحديث، وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» فقال له حامل الحديث: إني أحيانا أكون وراء الإمام؟ قال: اقرأها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قال الله عز و جل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إليّ عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه (شرح السنة- للإمام البغوى ٨٤/٣).

قلت: فكيف يصح ذلك عن أبي هريرة - أي قوله (فانتهى الناس عن القراءة) - وأبو هريرة يأمر بالقراءة خلف الإمام فيما جهر به وفيما خافت، فدل ذلك على أن الكلام متوجه إلى النهي عن القراءة خلف الإمام بغير الفاتحة، وبذلك يمكن الجمع بين الحديثين.

رابعا: الخلاصة:

وبعد هذا العرض يتبين لنا: أنَّ القول الأرجح هو وجوب قراءة الفاتحة على الإمام وعلى المأموم وعلى المنفرد في الصلاة السرية وفي الصلاة الجهرية، ونضيف هنا أن الإمام والمأموم والمنفرد يقرأون الفاتحة في الصلاة السرية دون إشكال، وذلك واضح، وأما في الصلاة الجهرية فالإمام والمنفرد يقرآن الفاتحة فيها دون إشكال أيضا، فتبقى قراءة المأموم في الصلاة الجهرية، فهذه القراءة من قبَل المأموم سبق فيها نهي «وإذا قرأ فأنصتوا»، «إني أراكم تقرأون وراء إمامكم»، «خلطتم عليّ القرآن»، «ما لي أنازعُ القرآن»، وقد مرّ كلُّ هذا، وهذا كله عام، وجاء استثناءٌ بحديث عُبادة «فلا تفعلوا إلا بأم القرآن»، «فلا تقرأوا بشيء من القرآن إذا جهرتُ إلا بأمّ القرآن»، «لا يقرأنّ أحدٌ منكم إذا جهرتُ بالقراءة إلا بأمّ القرآن».

وإذن فإن المأموم لا يقرأ في الصلاة الجهرية سوى الفاتحة فحسب، ويترك ما سواها من آيات القرآن والسور؛ لأن الفاتحة وحدها مستثناة من النهي، ويبقى النهي شاملاً ما سواها من القرآن (الجامع لأحكام الصلاة: محمود عبد اللطيف عويضة ٢١٢/٢).

وللحديث بقية إن شاء الله.



حب الأوطان في ميزان الشرع

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن الحب هو أهم مظاهر الانتماء؛ لأنه يكشف عن وجوده ويبرهن على صدقه، ولأن الله سبحانه هو صاحب الفضل والنعم على العباد كان لا بد من تقديم محبته على كل ما سواه، فالولاء والحب أولاً لرب العالمين.

إعداد/ أسامة سليمان

فهي الدائرة الكبرى التي تنطوي كل المحاب بداخلها، ومن بين هذه الدوائر الصغرى التي تتبع الأصل «حب الوطن» الذي ينبغي أن ينسجم مع محبة الله ولا يعارضه، وفي هذا المعنى يقول سبحانه: «قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» [التوبة: ٢٤].

فالآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والمساكن والديار- التي هي الأوطان- محبوبة إلى النفس مركوزة فيها، بل هي من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بيد أنها لا يجب أن تقدم على محبة الله ورسوله، فالآية الكريمة تبين أن ما ذكر محبب إلى النفس لا شك خُلقت عليه وفُطرت على وجوده لكن الأهم هو تقديم المحاب وترتيبها، فمحبة الله ورسوله تسبق كل المحاب، ويأتي ما بعدها تبعًا لها.

ومن ذلك: حب الأوطان والديار الذي لا ينافي الإيمان بل هو منه، وهنا يأتي ما يذكره البعض أن حب الأوطان من الإيمان، وهذا القول مشروع صحيح المعنى مع كونه حديثًا موضوعًا لا يصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم ثبوته لا يدل على بطلان معناه، بل إن معناه صحيح عند بعض أهل العلم. [راجع كشف الخفا للعجلوني].

والمتأمل في القرآن والسنة يجد أن ارتباط الإنسان بوطنه الذي نشأ فيه وتربى بين جدرانه وعاش على أرضه وهو محل ماله وعرضه، من المسائل المتأصلة في النفوس التي لا يجحدها وينكرها إلا جاحد مكابر، وإليك أخي بعضًا من نصوص القرآن والسنة التي تبين هذا المعنى وتؤكده:

أولا: النصوص من القرآن التي تؤكد هذا المفهوم

١- قول الله سبحانه وتعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ١٢٦].

وفي دعاء إبراهيم لمكة المكرمة برهان على حب المرء لمستقره وموطن عبادته ومدى الصلة الوثيقة بين الإنسان ووطنه، يتضح ذلك من قوله عليه السلام: «رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا» [إبراهيم: ٣٥]، فقلبه يفيض بحب شديد لوطنه ولأهله، لكنه حب مقيد بالمحبوب الأول؛ حب الله ورسوله.

٢- يقول الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ» [القصص: ٨٥]، ووجه الدلالة في الآية الكريمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة اشتاق إلى وطنه الأول الذي هو مكة المكرمة، فانزل الله عليه تلك الآية ليربط على قلبه ويبشره بالعودة إلى مسقط رأسه التي ما أحب فراقها، بل ذرفت عيناه بالدموع لتركها مما يدلل على الصلة القوية بينه وبين ذلك الوطن. [راجع القرطبي وابن كثير].

يقول الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ» [النساء: ٦٦].

٣- فقد اقترن حب الديار مع محبة النفس في الآية الكريمة مما يبين أن تلك المحبة متأصلة في نفس الإنسان لا سبيل إلى إنكارها، بل إن الإخراج من الديار والأوطان قد يكون عقوبة من رب العالمين للعبد حال عصيانه ومخالفته لأمر خالقه، يقول الله سبحانه: «قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا» [البقرة: ٢٤٦]، فالإخراج من الديار والأبناء دفع بني إسرائيل إلى قتال عدوهم الذي أخرجهم منها، فسألوا الله ملكًا يقودهم للعودة إلى ديارهم التي يرتبطون بحبها، ويتعلقون بأرضها.

٤- يقول الله سبحانه: «لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ» [الممتحنة: ٨- ٩].

فمحبة الدين والوطن مقترنان في الآية الكريمة، وهذا يدل على مكانة كل منهما في قلوب العباد، فالبر والعدل مأمور بهما مع من يكف يده عن المسلم، ولا يسعى لإخراجه من وطنه أو يفتنه في دينه مما يؤكد على منزلة الدين، ومكانة الوطن في نفوس العباد.

٥- يقول الله عز وجل: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» [الحشر: ٨].

ووجه الدلالة في الآية الكريمة أن الله عز وجل فضّل المهاجرين على من سواهم، فتركهم لديارهم وأموالهم يبرهن على صدق إيمانهم ومحبتهم لربهم.

وفي قصة آدم عليه السلام تأكيدًا لما سبق ذكره وبيانًا لما سلف بيانه، فإخراجه عليه السلام من وطنه الأول الجنة إلى الأرض كان جزاءً لأكله من الشجرة التي نهاه رب العالمين عنها، يقول الله سبحانه: «قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ» [الأعراف: ٢٤].

ثانيًا: نصوص السنة التي تبين أن حب الأوطان متأصل في نفوس العباد ومركوز في فطرتها:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل على درجات المدينة أوضع ناقته، أي أسرع بها وحركها؛ من حبه للمدينة. [أخرجه البخاري].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «في الحديث دلالة على مشروعية حب الوطن والحنين إليه».

٢- وعن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم من خيبر نظر إلى المدينة، فنظر إلى أُحُد وقال: هذا جبل يحبنا ونحبه.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: لا مانع من ذلك على الحقيقة، فقد ثبت محبة الجمادات لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحديث يبين كذلك مدى تعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بوطنه الثاني المدينة بعد هجرته إليها بل إن في دعائه لها تأكيدًا لهذا المعنى، وبيانًا للمراد، ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للمدينة يقول: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة بل أشد، اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم».. بل إنه طمأن الأنصار بعد فتحه لمكة خشيت أن يتركهم ويعود إلى وطنه الأول بقوله لهم: «المحيا محياكم والممات مماتكم».

٣- لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه من مكة إلى المدينة اشتاق كثير من أصحابه الأطهار إلى وطنهم وحنوا إلى ديارهم، فهذا بلال رضي الله عنه يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل تبدون لي شامة وطفيل

وكان ابن أم كلثوم رضي الله عنه يأخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول:

يا حبذا مكّة من وادي
أرض بها أهلي وعُوّادي
أرض بها أمشي بلا هادي
أرض بها ترسخ أوتادي

٤- لما قدم أصيل الغفاري إلى المدينة بعد الهجرة فدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- قبل أن يفرض الحجاب- فقالت له: يا أصيل! كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، قالت: أقم حتى يأتيك النبي فلم يلبث أن دخل النبي، فقال له: «يا أصيل! كيف عهدت مكة»؟ قال: والله عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق اذخرها، وأسلت ثمامها، وأمش سلمها، فقال: «حسبك يا أصيل لا تُحْزِنّا»، وفي رواية: «ويها يا أصيل! دع القلوب تقر قرارها».

خلاصة:

أليست هذه الوطنية بعينها؟! أليس رقة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنينه إلى وطنه دلالة على تعلقه بالوطن وحبه له، فيا ليت الذين باعوا أوطانهم وتآمروا عليه مع خفافيش الظلام يبصرون أو يعقلون، ويا ليت الذين خانوا الوطن بالتجسس عليه وبنقل أخباره لأعدائه يستيقظون، ويا ليت الذين يدمرون ويحرقون ويهدمون في وطنهم يعلمون!!

وصدق ابن الرومي عندما قال:

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وصدق من قال:

بلدي وإن جارت عليّ عزيزة
وقومي وإن ضنوا عليّ كرام

والحمد لله رب العالمين.

الصبر والعوامل المعينة عليه

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، وبعد:

أولا: معنى الصبر:

الصبر لغة: مصدر صبر يصبر، وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معانٍ ثلاثة: الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيءِ، والثالث: جنس من الحجارة، وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها، والمصبورة المحبوسة على الموت، ومن الباب ما ورد من نهيه صلى الله عليه وسلم عن قتل شيء من الدواب.

وقال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة بمعنى حبستها بلا علف، ويقال: صبر فلان عند المصيبة صبرًا وصبرته أنا حبسته، قال الله تعالى: «وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ» [الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم. [نضرة النعيم: ٦/٢٢٤١].

ثانيا: أنواع الصبر:

ينقسم الصبر إلى خمسة أنواع هي: الصبر على المصائب، والصبر على الابتلاءات، والصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي والصبر على النعم.

النوع الأول: الصبر على المصائب:

خلق الله المصائب من قبل أن يخلق السموات والأرض، ثم ابتلى بها عباده، قال تعالى:« مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (الحديد ٢٢- ٢٣)، وقد أمر الله بالصبر على المصائب فقال تعالى: « وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ» (لقمان ١٧).

وقد كان للإيمان بالله تعالى أعظم الأثر في صبر أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم على المصائب، وليس أدل على ذلك مما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مات ابنٌ لأبي طلحةَ من أم سليم. فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحةَ بابنه حتى أكون أنا أُحدّثُه. قال فجاء فقرّبت إليه عشاءً. فأكل وشرب. فقال:

ثم تصنعت له أحسنَ ما كانت تصنعُ قبلَ ذلك. فوقعَ بهـا. فلما رأت أنه قد شـبعَ وأصاب منها، قالت: يا أبـا طلحةَ! أرأيتَ لو أنّ قومًا أعـاروا عاريتَهم أهلَ بيـتٍ، فطلبوا عاريتَهم، ألهـم أن يَمنعوهم؟ قال: لا. قالـت: فاحتسـبْ ابنَك. قال فغضب، وقـال: تركْتني حتى تلطختُ ثم أخبَرْتني بابني! فانطلق حتى أتى رسـولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّمَ. فأخبرَه بما كان. فقال رسـولُ اللـه صلّى اللهُ عليه وسـلّمَ «بارك اللهُ لكما في غابرِ ليلتِكما» قال فحملتْ. قال فكان رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّمَ في سفرٍ وهي معه. وكان رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّمَ، إذا أتى المدينةَ من سـفرٍ، لا يَطرقُها طروقًا. فدنوْا من المدينة. فضربها المخاضُ. فاحتبس عليها أبو طلحةَ. وانطلق رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّمَ. قال يقول أبو طلحةَ: إنك لتعلَـم، يا رب! إنـه ليُعجبني أن أخرجَ مع رسـولكَ إذا خـرجَ، وأدخلُ معه إذا دخلَ. وقد احتبستُ بما ترى. قال تقول أمّ سليم: يا أبا طلحةُ! ما أجدُ الذي كنتُ أجـدُ. انطلقْ. فانطلقنا. قال وضربها المخاضُ حـين قدمـا. فولدت غلامًا. فقالت لـي أمي: يا أنسُ! لا يُرضِعُه أحدٌ حتى تغدو به على رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسـلّمَ. فلما أصبح احتملتُهُ. فانطلقت به إلى رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّمَ. قال فصادفتُهُ ومعه ميسَـمٌ (الْحَديـدَةُ أَو الْمِكْوَاةُ الَّتِي تُوسَـمُ بِهَا الـدَّوَابُّ). فلمـا رآنـي قـالَ «لعـل أم سـليم ولدت؟» قلتُ: نعم. فوضع الميسَـمَ. قـال وجئتُ به فوضعتُه في حجره. ودعا رسـول الله صلّى اللهُ عليه وسـلّمَ بعجوةٍ من عجوةِ المدينة. فلاكَها في فيه حتى ذابت. ثـم قذفَها في فِي الصبيِّ. فجعـل الصبيُّ يتلمّظها. قال فقال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّمَ: «انظروا إلى حبِّ الأنصارِ للتمر»، قال فمسـحَ وجهَه وسمَّاه عبدَالله) (رواه مسلم).

فانظر أخي الحبيب إلى قوة إيمان أم سليم بربها، وكيف قادها ذلك إلى الصبر على أعظم مصيبة تمر بالإنسـان طيلة حياته وهي مصيبـة الموت، وكيف صبّـرت زوجها على فقده لولده بمثال طيب، وقارن بـين فعلهـا وفعـل بعـض المسـلمين الآن فهـذا أب يعطى ابنه مفاتيح سيارته ليشتري له شيئًا، فتقع لـه حادثة، ويموت علـى أثرها، فيمـزق الأب ثيابه ويلطـم خدوده ويهيل التراب على أرسـه، ويصرخ قائلا: أنا الذي قتلته، لو لم أعطه مفاتيح السـيارة ما مات!! متغافـلاً عن قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (آل عمران ١٥٦)، ولـو وقر الإيمان في قلبه مـا اعترض على قضاء الله تعالـى وقدره، فهذا قد آمـن بلسـانه ولم يدخل الإيمان إلـى قلبه؛ مصداقا لقولـه صلـى اللـه عليه وسـلم: (يا معشـرَ من آمنَ بلسـانه ولـم يدخلْ الإيمـانُ قلبَـه) (رواه أبو داود وقال عنه الألباني: حسن صحيح).

النوع الثاني: الصبر على الابتلاءات:

قـال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة ١٥٥ – ١٥٧)، والابتـلاء قـد يكـون بالشـر والخير، قال تعالـى: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» (الأنبيـاء ٣٥)، ولعـل مـن أعظـم قصـص الابتـلاء قصة إبراهيم وإسـماعيل عليهما السلام، فقد رزق الله أبا الأنبياء بأول أولاده إسماعيل من السـيدة هاجر، وقد بلغ من العمر ستًا وثمانين سنة، ثم أراد الله أن يبتليه بأعظم أنواع الابتلاءات، فأمره بذبح ولـده، فمـاذا كان رد فعـل الوالـد والولـد على هذا الابتـلاء؟! وكيـف كان الإيمان باللـه عز وجل عاملاً من عوامل الصبر على هذا الابتلاء؟!

لنتعـرف على ذلك من خلال مـا قصه الله علينا من شـأنهما في كتابـه العزيز حيث قـال تعالى حاكيا عنهمـا: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» (الصافـات ١٠٠– ١٠٧). وقـارن – أخـي الحبيب – بـين صبرهما، وصبر البعض الآن – ممن لم يدخل الإيمان إلى قلبه– إذا ابتلاه ربه بشيء انطبق عليه قولـه تعالـى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» (الحج: ١١).

النوع الثالث: الصبر على الطاعات:

فقـد أمر اللـه بالطاعات، وأمر بالصبـر عليها، قال تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ» (طـه: ١٣٢)، وقـد كان أصحاب رسـول اللـه أحـرص الناس علـى الطاعـة وأصبر

الناس عليها لإيمانهم بالله تعالى.
وليس أدل على ذلك مما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (خرج معاوية على حلقة في المسجد. فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم. وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثا مني. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه. فقال «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا. قال «آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم. ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة) (رواه مسلم).
وما رواه أبو واقد الليثي رضي الله عنه قال: (إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بينما هو جالسٌ في المسجد والناسُ معه، إذ أقبل ثلاثةُ نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحدٌ، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمّا أحدهما: فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأمّا الآخرُ: فجلس خلفهم، وأمّا الثالثُ فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمّا أحدهم فأوى إلى الله فآواه اللهُ، وأمّا الآخرُ فاستحيا فاستحيا اللهُ منه، وأمّا الآخرُ فأعرض فأعرض اللهُ عنه) (رواه البخاري).
وقارن أخي الحبيب بين إيمان أصحاب رسول الله وصبرهم على الطاعة، وبين إيمان البعض منا الآن وقلة صبرهم على طاعة الله، وكيف يستطيع الواحد منهم أن يصبر على الوقوف الساعات الطوال بطوابير الخبز، وربما وقف بها قبل صلاة الفجر لينال بعض الأرغفة، ولا يستطيع أن يصبر على الوقوف خلف الإمام في الصلاة عشر دقائق!! وكيف وصل الحال ببعض الأئمة إلى تخفيف الصلاة تخفيفا مخلاً، بل ويحدث ذلك في شهر رمضان شهر الطاعة، وإلى الله المشتكى.

النوع الرابع: الصبر عن المعاصي:

وقد نهانا الله عن المعاصي، وأمر بالصبر عنها، وقد كان أصحاب رسول الله أصبر الناس عن المعاصي لشدة إيمانهم بالله تعالى وليس أدل على ذلك مما رواه عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: (أنّ رجلاً لقي امرأةً كانتْ تبغي في الجاهلية فجعل يلاعبُها حتى بسط يدَه إليها فقالتْ: مَهْ فإنّ اللهَ قد أذهب بالشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولى وجعل يلتفتُ خلفَه ينظرُ إليها حتى أصاب وجهَه الحائط فشجّه، ثم أتى النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم والدمُ يسيل على وجهه فأخبره بالأمر فقال: (أنتَ عبدٌ أراد اللهُ بك خيرًا ثم) قال: (إنّ اللهَ إذا أراد بعبد خيرًا عجّل له عقوبةَ ذنبه، وإذا أراد بعبد شرًّا أمسك عليه عقوبةَ ذنبه حتى يوافيَ به يومَ القيامة كأنه عيرٌ) (رواه البوصيرى في إتحاف الخيرة المهرة وله شاهد)، وقارن عبد الله بين هؤلاء المؤمنين وبين حال البعض الآن ممن لم يستطع أن يصبر على معصية الله لضعف إيمانه وعدم تمكنه من قلبه.

النوع الخامس: الصبر على النعم:

ونعم الله عز وجل لا تعد ولا تحصى قال تعالى: «وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم ٣٤)، وقد أمر الشرع بالصبر عليها، وقد كان أصحاب رسول الله أصبر الناس على نعمه، فقد روى عمرَ بنَ الخطّاب قال: أمرَنا رسولُ اللهِ صلّى اللهُ علَيهِ وسلّمَ يومًا أن نتصدّقَ، فوافقَ ذلكَ مالاً عندي، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بَكْرٍ إن سبقتُهُ يومًا، فجئتُ بنصفِ مالي، فقالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ علَيهِ وسلّمَ: ما أبقيتَ لأهلِكَ؟، قلتُ: مثلَهُ، قالَ: وأتى أبو بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بكُلِّ ما عندَهُ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ علَيهِ وسلّمَ: ما أبقيتَ لأهلِكَ؟ قالَ: أبقيتُ لَهُمُ اللهَ ورسولَهُ، قلتُ: لا أسابقُكَ إلى شيءٍ أبدًا) (رواه أبو داود وحسنه الألباني).
وانظر إلى حال البعض منا الآن ممن لم يستطع أن يصبر على نعم الله عز وجل، فبخل بها، أو أخرج أسوأ ما يملك متغافلا عن قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ» (البقرة: ٢٦٧).
وإلى حلقات أخرى- إن شاء الله- في العوامل المعينة على الصبر. نسأل الله عز وجل أن يرزقنا إيمانا يصبرنا على المصائب والابتلاءات، والطاعات، والنعم، وعن معاصيه، ويثبتنا على الحق، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

التحذير من أصحاب السوء

قال تعالى: « وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ».

[الفرقان: ٢٧- ٢٩].

من علامات النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة. [صحيح البخاري: ٣٩٦٩].

من أقوال السلف

قال الحسن البصري: اعلم- عافاك الله-: أن جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى؛ ونقم الله لا تُلاقى بالسيوف، وإنما تُتقى وتُستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة. والإقلاع عن الذنوب. [آداب الحسن البصري].

حكم ومواعظ

عن الربيع بن خُثيم قال: أتدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب ثم لا تعود. [سير السلف الصالحين].

من جوامع الدعاء

عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: «اللهمّ إنّي أسألك الثّبات في الأمر، والعزيمة على الرّشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم» [سنن الترمذي: ٣٤٠٧].

من غريب الحديث

(ضِئضئ): في حديث الخوارج «يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم،» الضئضئ: . يقال ضئضئ يريد أنه يخرج من نسله وعقبه. ورواه بعضهم بالصاد المهملة. وهو بمعناه. [غريب الحديث لابن الأثير].

اعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألا أخبركم بمن يحرم على النّار، أو بمن تحرم عليه النّار: على كلّ قريب هيّن سهل». [سنن الترمذي: ٢٤٨٨].دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

من فضائل الصحابة

استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا. فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أَوْلى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». [صحيح مسلم: ٢٣٨٧].

من فضل شهر الله المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم». [صحيح مسلم: ١١٦٣].

فضل الصيام في عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: (يكفر السنة الماضية).[صحيح مسلم: ١١٦٢].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدًا). قال ابن القيم: «وأما أحاديث الاكتحال والدهان والتطيب يوم عاشوراء فمن وضع الكذابين، وقابلهم آخرون وهم الشيعة فاتخذوه يوم تألم وحزن، والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة، وأهل السنة يفعلون ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع».

من خوارم المروءة

عدم الغيرة على الأهل، والرضا لهم بالتبرج، والاختلاط ومصافحة الأجانب، وكل هذه الخلال مقدمات للزنى، والعياذ بالله.[المروءة وخوارمها].

من أنواع التربية المطلوبة:

التربية الخُلُقية

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن التربية الإيمانية، وذكرنا أهم وسائل الارتقاء بالأحوال الإيمانية، وفي هذا العدد نُذَكِّر بمعلم جديد من معالم التربية المطلوبة للشباب، ألا وهو التربية الخلقية، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف الخلق:

قال ابن ماسكويه: «الخُلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية».

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكون طبيعيًا: من أصل المزاج: كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب. وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، كالذي يجبن من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.

ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب: وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً؛ حتى يصير ملكة وخلقًا». [تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، لابن ماسكويه، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب (ص:٤١) الطبعة الأولى، المكتبة المصرية].

وهذا الثاني هو المعنى بالتربية الخلقية، والمقصود بها تربية الشباب على الأخلاق الفاضلة، كالصدق، والأمانة والاستقامة والإيثار وغير ذلك من الأخلاق الكاملة الفاضلة.

مدح الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام». فجعل الدين كله خلقًا، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين.

وقال الحسن رحمه الله «هو آداب القرآن».

وقال ابن القيم: «إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن».

وفى «الصحيحين» أن هشام بن حكيم سأل عائشة رضي اله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خُلقه القرآن». فقال: «لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئًا». [صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد حسين العفاني (٥/٢٢٥)، والحديث رواه مسلم (٧٦٤)].

قال النووي: «معناه العمل به، والوقوف عند حدوده،

والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته». [شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٣٨- ٣٩)].

«ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات متنوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقي محمد صلى الله عليه وسلم لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتًا راسخًا مطمئنًا، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير». [في ظلال القرآن (٦/٣٦٥٦) ط. دار العلم بجدة].

«وقد تمثلت هذه الأخلاق الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واطرادها وثباتها في محمد صلى الله عليه وسلم، وتمثلت في ثناء الله العظيم وقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم)». [المصدر السابق (٦/٣٦٥٨)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١/٣٧١) والحاكم (٢/٦٣١) في «التاريخ»، وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وقال الألباني (٤٥): وهذا إسناد حسن].

قال فضل الله الجيلاني: «لا يكون دين من الأديان خاليًا من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الحكيمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة، حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة؛ فهذا معنى: «أتمم مكارم الأخلاق» أي: نهايتها. [فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد (١/٢٧١)].

قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته

إن التخلق يأتي دونه الخلق

وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة؛ فقد اتصف بالأوصاف الخلقية المحمودة كالعلم، والحلم، والتواضع، والكرم، والصدق، والوفاء، وشدة الحياء، وحسن المعاشرة، والآداب إلى غير ذلك من الخصال العلية والأخلاق المرضية.

عن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته: لم أفعله؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقًا، وما مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم». [رواه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩)].

قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عندما جاءها في أول بدء الوحي خائفًا: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب» [رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠، ١٦١)].

وعن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابًا ولا لعانًا ولا فحاشًا، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: ما له تربت جبينه». [رواه البخاري (٦٠٣١)، واللفظ لأحمد (١١٨٦٥)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب صلى الله عليه وسلم بيده خادما قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين شيئين إلا كان أحبهما إليه أيسرهما». وفي رواية: «إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس عن الإثم، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله» [رواه مسلم (٢٣٢٧)].

أقوال السلف - رحمهم الله - في حسن الخلق:

قال ابن القيم رحمه الله: «قال الحسن: «حسن الخلق بسط الوجه - وبذل الندى، وكف الأذى».

وقال أبو عثمان «هو الرضا عن الله تعالى».

وقال سهل التستري: «أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه».

وقيل: «ألا يتهم الحق في الرزق، ويثق به، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن، فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس».

وقيل: «حسن الخلق: بذل الجميل، وكف القبيح».

وقيل: «التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل».

وقال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق».

وقال رحمه الله «سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات».

وقال الجنيد: «أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق، وهو كمال الإيمان».

وقال الفضيل: «لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلى من أن يصحبني عابد سيء الخُلق».

وقال يوسف بن أسباط: «علامة حسن الخلق عشر خصال:

١- قلة الخلاف.

٢- وحسن الإنصاف.
٣- وترك طلب العثرات.
٤- وتحسين ما يبدو من السيئات.
٥- والتماس المعذرة.
٦- واحتمال الأذى.
٧- والرجوع بالملامة على النفس.
٨- والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره.
٩- وطلاقة الوجه للصغير والكبير.
١٠- ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

وذهب الغزالي إلى أن حسن الخلق: «عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال الجميلة المحمودة شرعًا وعقلاً بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية ففيها هنا أربعة أمور:

أحدها: فعل الجميل.

والثاني: القدرة عليه.

والثالث: المعرفة به.

والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى الحسن ويتيسر عليها.

ويقول ابن القيم رحمه الله: «وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل:

فالصبر: يحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والفداء الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها ويكبحها عن الجزع والبطش.

والعدل: يحمله على اعتدال الخلق وتوسطه فيما بين طرفي الإفراط والتفريط». [باختصار من «مدارج السالكين» (٢/٣٠٨- ٣٢١١).].

أحاديث نبوية في حسن الخلق:

قال النبي صلى الله عليه وسلم «أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن» [رواه أبو داود (٤٧٧٨)، والترمذي (٢٠٠٣)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[رواه أحمد (٢/٢٥٠)، وابن حبان (٢/٤٧٩)، وصححه الألباني].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة مجلسًا: أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوؤكم أخلاقًا، الثرثارون والمتفيهقون، والمتشدقون». [رواه أحمد (٤/١٩٣)، وابن حبان (٢/٤٨٢)، والبغوي في «شرح السنة» وصححه الألباني (٣٣٩٥)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار» [رواه الحاكم (١/٦٠)، وقال «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها». [رواه الطبراني في «الأوسط»، وانظر «مجمع البحرين» (٢٩٢٦)، وصححه الألباني في «الجامع» (١٧٣٩)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله؛ بحسن خلقه وكرم ضريبته» [رواه أحمد (٢/١٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٢)]. وضريبته: أي طبيعته وسجيته.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خلق حسن» [رواه الطبراني في «الكبير» (١/١٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٧٣)].

أمثلة من حسن خلق السلف رضي الله عنهم من كتاب صلاح الأمة في علو الهمة:

شتم رجل سلمان الفارسي فقال له: «إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول».

وشتم رجل الربيع بن خيثم فقال له: «يا هذا، سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول».

وقال له مرة: «يا مرائي»، فقال: «ما عرفني غيرك».

وقال على بن يزيد: «أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانًا طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا؟!».

وشتم رجل الأحنف بن قيس فسكت عنه، وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: «والهفاه! ما يمنعه من أن يرد عليّ إلا هواني عنده».

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيه، فقال الأحنف: «يا هذا؛ إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره».

وقال رجل لمالك بن دينار: «بلغني أنك ذكرتني بسوء؟!

قال: أنت أكرم عليَّ من نفسي؟! إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي».
وقال رجل لبعض الحكماء: «والله، لأسبنّك سبًا يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل لا معي».
وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك فقال: «أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب».
قال رجل لعمر بن عبد العزيز: «أشهد أنك من الفاسقين، قال: ليس تقبل شهادتك».
سبَّ رجل ابن عباس رضي الله عنه، فلما فرغ قال: «يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضيها؟» فنكس الرجل رأسه واستحى.
وعن على بن الحسين بن على انه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم.
فقال بعضهم: «جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعد عن الله، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير».
قال يحيى بن منده: «كان عمى سيفًا على أهل البدع، هو أكبر من أن يثني عليه مثلي، كن والله آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، كثير الذكر، قاهرا لنفسه، عظيم الحلم، كثير العلم. قرأت عليه قول شعبة: «من كتبت عنه حديثًا، فأنا له عبد»، فقال عمي: من كتب عني حديثًا فأنا له عبد».
قال خطيب الموصل أبو الفضل: «حدثني أبي، قال: توجهت من الموصل سنة ٤٥٩ هـ إلى أبى إسحاق - يعنى الشيرازي - فلما حضرت عنده رحب بي، وقال: من أين أنت؟ فقلت: من الموصل، قال: مرحبًا، أنت بلديي.
قلت: يا سيدي، أنت من فيروز آباد؟ قال: أما جمعتنا سفينة نوح؟ فشاهدت من حسن أخلاقه، ولطائفه، وزهده ما حبب إلى لزومه، فصحبته إلى أن مات».
وقيل:«إن أبا إسحاق نزع عمامته - وكانت بعشرين دينارًا - وتوضأ في دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس. فقال: لعل الذي أخذها محتاج».
قيل للأحنف بن قيس: «من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم.
قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك! أنت حرة لوجه الله تعالى».
كان الفضيل بن عياض رحمه الله إذا قيل له: «إن فلانًا يقع في عرضك يقول: والله لأغيظن من أمره - يعنى إبليس - ثم يقول: اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي، وإن كان كاذبًا فاغفر له».
وكان أبو معاوية الأسود يدعو لمن نال منه.
وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رحمه الله فبالغ في شتمه وهو ساكت، فقيل له: «ألا تشتمه كما شتمك؟ فقال: إني لا أعرف له شيئًا من المساوئ حتى أشتمه به، ولا يحل لي أن أرميه بالكذب».
وقال رجل مرة لسالم بن عبد الله رحمه الله: يا شيخ السوء، فقال له سالم: «ما أراك أبعدت يا أخي».
[انظر «صلاح الأمة» للعفاني (٥/٢٥٣- ٢٧٢)].

مسئولية المربين:

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: «على المربين - ولا سيما الآباء والأمهات - مسئولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق.
ومسئوليتهم في هذا المجال مسئولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقويم اعوجاجهم، وترفعهم عن الدنايا، وحسن معاملتهم للآخرين.
فهم مسئولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين.
ومسئولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، والشتائم، والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبني عن فساد الخلق وسوء التربية.
ومسئولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين.
إلى غير ذلك من هذه المسئوليات الكبيرة التي تتصل بالتهذيب وترتبط بالأخلاق.
وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على قوة الملاحظة والمراقبة، فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين، وكل من يهمه أمر التربية والأخلاق أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة، وأن يعيروها اهتمامهم لكونها من أقبح الأعمال وأحط الأخلاق، وأرذل الصفات، وهذه الظواهر مرتبة كما يلي:
١- ظاهرة الكذب.
٢- ظاهرة السرقة.
٣- ظاهرة السباب والشتائم.
٤- ظاهرة الميوعة والانحلال» [تربية الأولاد في الإسلام (١/١٧٢- ١٧٣)].

وللحديث بقية إن شاء الله
والحمد لله رب العالمين.



دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

ما بين الكليات العامة والأدلة الخاصة

الحلقة ٥٤

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد تكلمنا عن الكليّات العامة وأهميتها، وأنها تعرف بطريقين، عن طريق النص، وتسمّى بالكليات النصيّة، وعن طريق الاستقراء، وتسمى بالكليّات الاستقرائية.

فبدأنا ببحث الكليات النصيّة وذكرنا مثالين لها، ونستكمل البحث.

المثال الثالث: المسئولية الشخصية (ولا تزر وازرة وزر أخرى):

وهذه كلية من كليات الشريعة ومقصد من مقاصدها، لذا تكررت في كثير من الآيات بنصّها أو بمعناها، وهذا التكرار والتأكيد يؤكد على كليتها.

فمن الآيات التي وردت فيها بنصّها قوله تعالى: «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» [الأنعام:١٦٤]، وقوله تعالى: «مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» [الإسراء:١٥]، وقوله: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» [فاطر:١٨] وقوله: «وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» [الزمر:٧]، قال الله تعالى: «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ» [النجم: ٣٦-٤٠]، فالذي في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام، هو: ألا تزر وازرة وزر أخري ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

ومن الآيات التي وردت بمعناها: قوله تعالى: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [البقرة:١٤١]، وقوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» [البقرة:٢٨٦]، وقوله جل وعلا: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» [المدثر:٣٨] إلى غير ذلك من الآيات.

كما أنه وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وآثار عن الصحابة رضي الله عنهم ، تؤكد قاعدة المسئولية الشخصية وتقررها، والنبي صلى الله عليه وسلم يبين ذلك لقومه ويقرّره، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله: (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقال: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا (متفق عليه).

كما حاول النبي صلى الله عليه وسلم أن يهدي عمه إلى الإسلام فلم يستطع، ففي البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله: فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله تعالى فيه: « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » [التوبة:١١٣] (متفق عليه).

فنهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمه؛ لأنه من أهل النار، كما لم يشفع إبراهيم عليه السلام في أبيه ، ونوح عليه السلام في ابنه وامرأته ، ولوط عليه السلام في امرأته. بينما- على العكس من ذلك - امرأة فرعون (آسية بنت مزاحم)، كانت زوجة لرجل من شرار الناس، وصل به غيّه إلى أن قال أنا ربكم الأعلى، ومع ذلك لم يستطع أن يتحكم في قلب امرأته التي تحت قهره وجبروته، ولم تستعبدها عيشة الملوك ولا ترف الحياة الدنيا، فاستعلت على ذلك كله ، قال الله تعالى عنها: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[التحريم:١١].

وقاعدة المسئولية الشخصية هي التي جعلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنكر حديث ابن عمر الذي رواه عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه». قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت: يرحم الله عمر ، لا والله ما حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، ولكن: إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه، وقالت عائشة: حسبكم القرآن «ولا تزر وازرة وزر أخرى»، قال ابن عباس عن ذلك: والله هو أضحك وأبكى...... (متفق عليه).

وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين، ولا مكذّبين (تقصد عمر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما)، ولكن السمع يخطئ (صحيح مسلم).

ولا تعارض بين حديث عمر وحديث عائشة رضي الله عنهما، فالحديث رواه آخران هما: المغيرة بن شعبة ، وعمران بن حصين ، رضي الله عنهما، فلا وجه لتخطئة من روى الحديث من الصحابة بقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فهي أثبتت ما سمعت ، والصحابة أثبتوا ما سمعوا ، ولا منافاة بين ما سمعت ولا ما سمعوا ، فإن لفظ الميت في رواية عمر وغيره عام يشمل كل ميت سواء أكان مسلمًا أم كافرًا، وحديث عائشة رضي الله عنها خاص بالكافر. (انظر السلسلة الصحيحة ١٤٦٧/٧).

أما احتجاجها بالآية (ولا تزر وازرة وزر أخري) فهو محمول على من كان البكاء من سنته وسنة أهله ولم ينه عنه ، أو من كان آمرًا به. فهنا يعتبر البكاء من كسبه ووزره.

يقول أبو بكر الرازي عن إنكار عائشة رضي الله عنها واحتجاجها بالآية: وإنما أنكرت اعتقاد ظاهره أنه يعذب لأجل فعل غيره. ثم قال: ولا تكون عائشة مخالفة لهما (عمر وابن عمر رضي الله عنهما) في معناه (الحديث) ، وذلك أن البكاء عند العرب هو التعديد ، وكانوا يعدّدون على موتاهم في الجاهلية بما كانوا يتبارون به من الغارات والسّباء والقتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض من سمعه يعدّد بمثله إنه يعذب لهذه الأفعال (الفصول في الأصول ١٦٠/١).

قلت: إن البكاء نوعان ، نوع فطري لا دخل للإنسان فيه وهذا جائز ، بل هي رحمة، وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم ، كما في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال دخلنا مع رسول الله على أبي سيف القين (الحداد) وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام (زوج مرضعته)، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبّله وشمّه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول

الله؟! فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم أتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وسلم: إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون. (متفق عليه).

وفي رواية: (ألا تسمعون! إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا- وأشار إلى لسانه- أو يرحم. وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه). (متفق عليه).

والنوع الثاني من البكاء هو المتكلف ، وهو البكاء مع النوح وذكر المحاسن وما يصاحب ذلك من تسخط واعتراض ، وهذا يكون باللسان في الغالب، فحديث النبي صلى الله عليه وسلم فرّق بين نوعي البكاء: البكاء الفطري الذي سماه رحمة، والبكاء المتكلف الذي يؤاخذ به العبد ، وهو المذكور في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) (متفق عليه).

وهذا النوع من البكاء يؤاخذ عليه الميت إذا كان من سُنة أهله ولم يوصيهم بعدم فعله، أو أوصاهم به كعادة العرب في الجاهلية كما قال الشاعر:

إذا أنا مت فانعيني بما أنا أهله
وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد

أما إذا أوصى بعدم النياحة عليه وتبرأ من ذلك ، فهذا لا يؤاخذ بفعل أهله؛ مصداقًا لقوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

استثناءات من قاعدة المسئولية الشخصية:

مع أن هذه القاعدة كلية من كليات الشريعة ، إلا أنه وردت استثناءات منها ، وهذه الاستثناءات جاءت بها نصوص خاصة ، فتخرج صورها فقط ويبقى عموم القاعدة على ما هو عليه.

المثال الأول: الصيام عن الغير:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وعليه صوم صام عنه وليه) (متفق عليه). قال الحافظ ابن حجر: الأصل عدم النيابة في العبادة البدنية ، ولأنها عبادة لا تدخلها النيابة في الحياة، فكذلك في الموت إلا ما ورد فيه الدليل فيقتصر على ما ورد فيه، ويبقى الباقي على الأصل. (فتح الباري٤/١٩٤).

[فائدة: اختلفوا في الصيام عن الميت على ثلاثة أقوال:

١- من مات وعليه صوم صام عنه وليه سواء كان رمضان أو النذر ونحوه ، وهذا رجحه النووي في شرحه على مسلم (انظر شرح النووي على مسلم ٢٥/٨) وكذلك الحافظ ابن حجر (انظر فتح الباري ١٥٤/٤).

٢- لا يُصام عنه إلا النذر فقط، أما صوم رمضان فيطعم عنه ، وقيدوا عموم الحديث بما ثبت عن عائشة رضي الله عنها عندما سألتها عمرة: توفيت أمي وعليها من رمضان صوم ، فسألت عائشة عن ذلك، فقالت: اقضيه عنها، ثم قالت: بل تصدقي مكان كل يوم على مسكين نصف صاع (رواه الطحاوي في مشكل الآثار١٧٩/٦).

وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا مات الرجل في رمضان ، ثم مات ولم يصم أطعم عنه، ولم يكن عليه قضاء ، وإن كان عله نذر قضى عنه وليه. (صحيح سنن أبي داود وغيره).

٣- لا يُصام عن الميت لا نذر ولا غيره ، وهذا ما ذهب إليه الجمهور (انظر التمهيد لابن عبد البر٢٧/٢٠).

المثال الثاني: الحج عن الغير:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم ، قالت: يا رسول الله ، إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، أفأحج عنه؟ قال: نعم. (متفق عليه).

وعن ابن عباس أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج ثم ماتت ، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء (صحيح البخاري).

المثال الثالث: الصدقة ، العلم ، دعاء الأبناء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له. (صحيح مسلم).

المثال الرابع: تحمل العاقلة لدية القتل الخطأ:

العاقلة: هم الأقرباء من جهة الأب (العصبات)، ورغم أن الأصل أن كل امرئ مختص بضمان جناية نفسه ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بأن العقل (الدية) على العصبة (صحيح مسلم).

ثانيًا: الكليات الاستقرائية:

وهي الطريقة الثانية من طرق معرفة الكليات (وذلك يكون في الكليات التي لم يرد بشأنها دليل خاص)، ومعناها: أن نتتبع الأدلة المختلفة الأغراض في كل باب من أبواب الفقه ، وكل نوع من أنواعه، ويضم بعضها إلى بعض فينتظم من مجموعها أمر واحد كلي تدور حوله تلك الأدلة.

ومن أمثلة ذلك: قاعدة: المشقة تجلب التيسير: وهي قاعدة من القواعد الخمس الكبرى التي تعتبر دعائم الشريعة الإسلامية، والتي تبنى عليها معظم القواعد الفقهية، ويتخرّج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع التي شرعها الله تعالى رحمةً بعباده ، وتخفيفا عن المكلفين لسبب من الأسباب التي تقتضي هذا التخفيف؛ لأن العسر والحرج منتفيان شرعًا.

والقاعدة لها أدلة كثيرة- ليست نصًا خاصًا فيها- من كتاب الله تعالى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً: الأدلة من كتاب الله تعالى:

وردت آيات كثيرة في كتاب الله ، تحقق القاعدة ويستدل بها عليها ، منها: قوْله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» [الْبَقَرَة: ١٨٥]، وقوْله سبحانه: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» [الْبَقَرَة: ٢٨٦]، وقوْله جل وعلا: «يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا» [النّسَاء: ٢٨]، وقوْله تعَالى: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ» [سورة الأعراف: ١٥٧]، وقوْله تبارك وتعَالى: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحَجّ: ٧٨]، وقوْله تعَالى: «فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ» [التغابن: ١٦]، وقوْله سبحانه: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا» [سورة الطلاق: ٧].

ومن ذلك آيات الإفطار في حالتي السفر والمرض، وآيات قصر الصلاة في الجهاد ، وآيات أكل ما حرم الله تعالى كالميتة عند الضرورة، وآيات التلفظ بالكفر لمن أكره عليه، وآيات التيمم لمن فقد الماء أو لم يقدر على استعماله، إلى أشباه ذلك من الأدلة التي يستدل بها على هذه الكلية (القاعدة).

ثانيًا الأدلة من السنة:

١- حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة). (صحيح البخاري) (فسددوا: من السداد وهو التوسط في الأعمال. وقاربوا: من فعل الأكمل إن لم تستطيعوه. الغدوة: أول النهار، والدلجة: آخر الليل، والمعنى إيقاع العبادة في أوقات النشاط والقبول).

٢- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفّروا). (متفق عليه)، و(سكنوا: بإدخال الطمأنينة على النفس. ولا تنفروا: عكس التسكين بنزع الطمأنينة من النفس).

٣- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّر رسول الله بين أمرين، أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه). (متفق عليه والرواية لمسلم).

٤- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) (متفق عليه).

٥- حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: لما نزلت هذه الآية: «وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ» [البقرة:٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا. قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله تعالى: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا» قال: قد فعلت. (ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا) قال: قد فعلت (واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا) قال: قد فعلت. (صحيح مسلم).

إلى غير ذلك من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصة التي وردت في مناسبات جزئية، حتى قال الإمام الشاطبي: إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع. (الموافقات ١/٥٢٠).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله



يأجوج ومأجوج

حقائق وفوائد

الحلقة الرابعة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فهذا لقاؤنا الرابع مع قصة يأجوج ومأجوج، نستكمل فيه حقائق القرآن، والسنة حول هذه القصة، ونستخلص الفوائد العلمية والحقائق الإيمانية استكمالاً لما ذكرنا في المقال السابق بفضل ربنا عز وجل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

رابعًا: عدد يأجوج ومأجوج بشرى للمسلمين :

عندما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن بعث النار أي أهل النار من ذرية آدم من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين كما في حديث أبي سعيد الخدري المخرّج في الصحيحين، وفيه أيضًا: فشق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ يعني إذا كان لا يدخل الجنة إلا واحد من الألف، فمن سينجو؟ وأينا ذلك الناجي من النار؟

عند ذلك بشّر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله: «أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجل»، يعني سيكون- إن شاء الله- من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون إلى جهنم بينما يكون من أمة محمد واحد فقط إلى النار، ولقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم، فقال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تبارك وتعالى» رواه أحمد والترمذي.

ثم بيّن فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستكون بفضل الله نصف أهل الجنة.

خامسًا: نزول المطر الغزير لإزالة آثارهم:

جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل الذي ذكرنا مقاطع منه تشير إلى إرسال المولى عز وجل عليهم الدود لقتلهم والطير للتخلص من جثثهم، وفيه أيضا: «ثم يرسل الله مطرًا لا يكُنُّ (لا يمنع) منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يجعلها كالزلفة (كالمرآة)» [مسلم٤/٢٢٥٠].

أي يرسل الله سبحانه مطرًا غزيرًا يعم الأرض لغسلها من آثار القوم حتى تصير كالمرآة في صفائها ونقائها.

سادسًا: مكان مقتلهم:

في حديث النواس بن سمعان: «.. ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من السماء»...

وقد تقدم الحديث أن يرسل الله عليهم جنده، والشاهد قوله صلى الله عليه وسلم: جبل الخمر.

وهو الشجر الملتف ومكانه: بيت المقدس، والله أعلم.

وهناك وفي المنطقة المحيطة سيكون مقتلهم بإذن الله.

سابعًا: أسلحتهم وقود للمسلمين:

بعد موت يأجوج ومأجوج ستكون أسلحتهم وقودًا لنيران المسلمين مدة سبع سنين، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين». [صحيح الجامع: ٣٦٦٦].

ثامنًا: طيب العيش وبركته بعدهم:

«... ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرّسل حتى اللقحة (الحلْبة) من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقرة لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم الفخذ من الناس».

صحيح مسلم.

من مظاهر هذه البركة أن الرمانة الواحدة تكفي جمعًا من الناس يأكلونها ويتخذون قشرتها مظلة لهم، وأن الله سيبارك في لبن الماشية سواء كان من الإبل أو البقر أو الغنم لدرجة أن نتاج الواحدة من الغنم في المرة الواحدة يكفي حليبها فخذ القبيلة، وأن حليب البقرة لمرة واحدة يكفي قبيلة بأكملها، وهكذا.

أيها المسلمون: أبشروا فإن بعث النار من يأجوج ومأجوج ألف ومن المسلمين واحد فقط، نسأل الله النجاه منها.

تاسعًا: أسباب البركة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص (صغار الإبل) فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد» أخرجه البخاري، واللفظ هنا لمسلم.

فمن أسباب البركة الواضحة هنا ارتفاع الشحناء والبغضاء والضغينة من صدور الناس وشيوع الأمن والسلام وعدل السلطان.

عاشرًا: حج البيت:

روى أحمد والبخاري من حديث أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليُحَجَّنَ هذا البيت بعد يأجوج ومأجوج».

ثانيا: من الفوائد المتعلقة بيأجوج ومأجوج.

الأولى: نزولهم سيكون متزامنًا مع نزول عيسى عليه السلام:

أشارت الأحاديث الصحيحة التي سقناها وغيرها مما سنعرض له إن شاء الله أن ظهور يأجوج ومأجوج وخروجهم سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام في آخر الزمان، ونزول عيسى في حد ذاته شرط من أشراط الساعة الكبرى، ومن الأشراط العشرة الكبرى التي تسبق الساعة مباشرة، وهذا النزول قد أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إليه القرآن الكريم إشارات عديدة ليس مجال الحديث عنها الآن.

لكن من أهم ملامح هذا النزول ما يلي:

١- الحكم بشريعة الإسلام:

ينزل عيسى عليه السلام من السماء بأمر الله، ووصف النبوة قائم فيه، غير أنه لا يأتي بشريعة جديدة، بل يكون تابعًا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وحاكمًا من حكام هذه الأمة ومجددًا لأمر دينها؛ لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين؛ وشريعته خاتمة الشرائع، ولذلك أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يبشروا به ويتبعوه وينصروه، إن بُعث وهم أحياء وقد فعلوا وأخذوا الميثاق على أممهم بذلك، قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ» [آل عمران: ٨١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم. [أخرجه الشيخان].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين (والممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة)؛ كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويُهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون». [صحيح أبي داود برقم: ٤٣٢٤].

إنّ من أسباب نزول البركة: ارتفاع الشحناء والضغينة من صدور الناس وشيوع الأمن والسلام وعدل السلطان.

وهذه عقيدة الحق في عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى أمه، تلك العقيدة التي يعتقدها المسلمون اليوم أن عيسى قد رفعه الله إليه ولم يقتله اليهود ولم يصلبوه، بل رفعه الله إليه ولم يمت، بل هو حي عند الله وسينزل في آخر الزمان كما بينا، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله بصورة أكثر شمولاً.

اللهم أحيينا على الإسلام، وتوفنا عليه، وابعثنا يوم القيامة من أهله، آمين.



أهل الإسلام.. سماتهم وآدابهم

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد

أولا: سمات أهل الإسلام

السمات العامة لنبيهم صلى الله عليه وسلم الذي أمرهم الله بالاقتداء به

لا غرابة أن يصف الله تعالى نبيه بالخلق العظيم، وأن يُعْرَف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بين الناس بالصادق الأمين، فقد نشأ وربُّه سبحانه وتعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية وأنجاسها لما يريده له من كرامته ورسالته، فما إن أصبح رجلا حتى أضحى أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأشهرهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزها وتكرما، حتى لقبه قومه بالأمين، لما جمع الله فيه من الخصال الصالحة.

هكذا عاش محمد صلى الله عليه وسلم بين قومه قبل بعثته نزيه النفس، فما حُكِيت عنه مغامرة لنيل جاه أو مداهنة لاصطياد ثروة، بل على العكس بدأت سيرته تومض في أنحاء مكة بما امتاز به على سائر أقرانه، بل على أشراف قومه من خصال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر صائب، ورأي راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، حتى وصلت رجولته إلى القمة، وازدانت تلك الرجولة بمحامد الأدب، والاستقامة والقنوع، وسمو روحه، وصفاء نفسه، فقد صانه الله تعالى من حب العظمة ومن التظاهر والرياء، أو طلب الرياسة عن طريق المداهنة. [فقه السير للغزالي ص٧٤بتصرف]

من سماتهم وجاهتهم وحسن سمتهم

دليله ومثاله ما ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم:

- يصف عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَم رضي الله عنه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه عند قدومه المدينة، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ». [أخرجه الترمذي (٦٥٢/٤)، ت: شاكر، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»].

نعم لم يكن وجهه صلى الله عليه وسلم وجه كذاب، وذلك لما لاحَ عَلَى وجهه صلى الله عليه وسلم مِنْ سَوَاطِعِ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ، وَإِذَا كَانَ أَهْلُ الصَّلاحِ وَالصَّلاَةِ فِي اللَّيْلِ يُعْرَفُونَ بِوُجُوهِهِمْ فَكَيْفَ هُوَ وَهُوَ سَيِّدُهُمْ صلى الله عليه وسلم وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ. [حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٤٠١/١].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو قدوة المسلمين كما نص عليه القرآن الكريم، وقد استطاع بفضل تلك القدوة أن يحمّل أصحابه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط، وإنما بالسلوك الواقعي الحي، وقد حرصوا على تتبع صفاته وحركاته ورصدها والعمل بها، وما ذلك إلا حرصا منهم على تمثل أفعاله صلى الله عليه وسلم، لقد كان المثل الأعلى لهم.

وقد تمثلت في الرسول صلى الله عليه وسلم صفات جليلة جعلت منه قدوة بالفعل، وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم- ولا يزال- قدوة

للمسلمين جميعا، والقدوة الحسنة التي يحققها الداعي هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام بكل ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

ولقد انتشر الإسلام في كثير من بلاد الدّنيا بالقدوة الطّيّبة للمسلمين الّتي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، كذلك فالقدوة الحسنة الّتي يحقّقها الدّاعي بسيرته الطّيّبة؛ هي دعوة عمليّة للإسلام يستدلّ بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أنّ الإسلام حقّ من عند الله. وهذا الذي استدل به عبد الله بن سلام من ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم ومما دعا إليه من الشمائل والفضائل، ونشر الخير والسلام؛ استدل به على صدقه وصدق دعوته، فأسلم وصار من كبار وخيار المسلمين رضي الله عنه

وأهل القدوة يُعْرَفون بحلاوة اللسان، وبجميل أخلاق الإنسان، ليس منهم الفاحش ولا البذيء ولا الطعّان.

قال الغزاليّ- رحمه الله تعالى-: إنّ السّبّ والفحش وبذاءة اللّسان مذمومة ومنهيّ عنها، ومصدرها الخبث واللّؤم، والباعث عليها إمّا قصد الإيذاء وإمّا الاعتياد الحاصل من مخالطة الفسّاق وأهل الخبث واللّؤم لأنّ من عادتهم السّبّ... ولأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها. وأمّا أهل الصّلاح فإنّهم يتحاشون عنها، بل يكنون عنها ويدلّون عليها بالرّموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلّق بها، ألم تر أنّ الله- عزّ وجلّ- كنى باللّمس عن الجماع، ولذلك فإنّه تستعمل ألفاظ مثل المسّ واللّمس والدّخول والصّحبة.

كما يكون الفحش والبذاء أيضا في حال قضاء الحاجة؛ فإنّ استعمال البول والغائط أولى من لفظ التّغوّط والخراء. ويدخل الفحش أيضا والبذاء في ذكر النّساء والكلام عنهنّ، فلا يقال: قالت زوجتك كذا، بل يقال: قيل في الحجرة أو من وراء السّتر، أو قالت أمّ الأولاد، فالتّلطّف في هذه الألفاظ محمود والتّصريح فيها يفضي إلى الفحش. وكذلك يدخل البذاء أيضا في ذكر العيوب الّتي يُستحيا منها، فلا ينبغي أن يعبّر عنها بصريح اللّفظ، فلا يقال: فلان الأبرص والأقرع، بل يقال مثلا: فلان الّذي به العارض الّذي يشكوه، وهذا كلّه يختلف باختلاف البلاد. وأوائل هذه الأشياء مكروه، وآخرها محظور، وبينهما درجات يُتردّد فيها. [نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٩/٤٠٤٨]

وكذلك ما ورد من سيرة الصحابة رضى الله عنهم:

- قال ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: «كَانَتْ حَوَّاءُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ السَّكَنِ، عِنْدَ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدِ الْخَطِيبِ، كَذَا قَالَ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْخَطِيمِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ أُمُّهَا عَقْرَبُ بِنْتُ مُعَاذٍ أُخْتَ سَعْدَ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَسْلَمَتْ حَوَّاءُ، فَحَسُنَ إِسْلَامُهَا، وَكَانَ زَوْجُهَا قَيْسٌ عَلَى كُفْرِهِ، فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَهِيَ تُصَلِّي، فَيُؤْذِيهَا، وَكَانَ لَا يَخْفَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ أَمْرٌ يَكُونُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا بَلَغَهُ وَأُخْبِرَ به. قَالَ قَيْسٌ: فَقَدِمْتُ مَكَّةَ فِي رَهْطٍ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِي حُجَّاجًا، فَبَيْنَا نَحْنُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ عَنِّي فَدُلَّ عَلَيَّ فَأَتَانِي فَقَالَ: أَنْتَ قَيْسٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: زَوْجُ حَوَّاءَ؟ قلت: نعم، قال: فمالك تَعْبَثُ بِامْرَأَتِكَ وَتُؤْذِيهَا عَلَى دِينِهَا؟ فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَفْعَلُ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ بِهَا، دَعْهَا لِي، قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَيْسٌ الْمَدِينَةَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِامْرَأَتِهِ وَقَالَ: فَشَأْنُكِ بدينك فوالله مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ. [دلائل النبوة للبيهقي محققا ٢/٤٥٦]

قال الكفويّ- نقلا عن بعضهم-: من كان مستورا ليس بمهتوك ولا صاحب ريبة وكان مستقيم الطّريقة، وسليم النّاحية من الأذى قليل السّوء، ليس يعاقر النّبيذ، وليس بقذّاف للمحصنات، ولا معروفا بكذب، فهذا عندنا من أهل الصّلاح. [نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٦/٢٥٨٦].

الرحمة من خصوصيات صفات أهل الإيمان

أرسل الله- تبارك وتعالى- رسوله محمّدا صلّى الله عليه وسلّم رحمة للخلائق عامّة مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنّهم، وجعله رءوفا رحيما بالمؤمنين خاصّة، فمن قبل الرّحمة وشكر هذه النّعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدها خسر الدّنيا والآخرة. ويؤيّد هذه الخصوصيّة قوله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧].

- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قيل: يا

رسول الله، ادع الله على المشركين. قال: «إنّي لم أبعث لعّانا وإنما بعثت رحمة». [مسلم: ٢٥٩٩].

- وعنه- رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيّها النّاس إنّما أنا رحمة مهداة». [رواه الحاكم في المستدرك (٣٥/١) واللفظ له وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي].

- وعن أبي موسى الأشعريّ- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمّد، وأحمد، والمقفّى والحاشر، ونبيّ التّوبة، ونبيّ الرّحمة». [مسلم: ٢٣٥٥].

- وعن سلمان- رضي الله عنه-؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «... أيّما رجل من أمّتي سببته سبّة أو لعنته لعنة في غضبي فإنّما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون. وإنّما بعثني رحمة للعالمين فأجعلها عليهم صلاة يوم القيامة». [رواه أبو داود برقم (٤٦٥٩) واللفظ له، والإمام أحمد (٤٣٧/٥). والحديث أصله في مسلم برقم (٢٦٠١)].

- قال ابن عبّاس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ: «كان محمّد صلّى الله عليه وسلّم رحمة لجميع النّاس فمن تبعه كان له رحمة في الدّنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوقب ممّا كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف». [نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٤٥٥/١]

ولقد كان أنبياء الله ورسله نموذجًا واحدًا صالحًا تخرج أفعالهم من مشكاة واحدة، مشكاة النبوة والعلم والأخلاق. ولنضرب مثالا هنا بيوسف الصديق عليه الصلاة والسلام.

الإحسان من صفات أهل الإسلام ومثاله ما كان من سيرة يوسف عليه السلام

أَخْرَجَ ابْنُ جَرِير وَابْنُ أَبِي حَاتِم وَأَبُو الشَّيْخ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِه: «إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» قَالَ: كَانَ إِحْسَانُهُ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ يعزّي حزينهم، ويداوي مريضهم، ورأوا مِنْهُ عِبَادَةً وَاجْتِهَادًا فَأَحَبُّوهُ. وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور وَابْنُ جَرِير وَابْنُ الْمُنْذِر وَابْنُ أَبِي حَاتِم وَأَبُو الشَّيْخ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشعب، عن الضَّحَّاكَ قال: كَانَ إِحْسَانُهُ أَنَّهُ إِذَا مَرِضَ إِنْسَانٌ فِي السِّجْنِ قَامَ عَلَيْهِ، وَإِذَا ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَكَانُ أَوْسَعَ لَهُ، وَإِذَا احْتَاجَ جَمَعَ لَهُ. وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخ عَنِ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: دَعَا يُوسُفُ لِأَهْلِ السِّجْنِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُعَمِّ عَلَيْهِمُ الْأَخْبَارَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِمْ مَرَّ الْأَيَّامِ. [فتح القدير للشوكاني ٣٤/٣]

فإذا تابعنا أكثر شخصية يوسف- عليه السلام- فإننا لا نفتقد في موقف واحد من مواقف القصة ملامح هذه الشخصية، المنبثقة من مقوماتها الذاتية البيئية الواقعية، المتمثلة في كونه «العبد الصالح- الإنسان- بكل بشريته، مع نشأته في بيت النبوة وتربيته ودينه»..

فهو في السجن وظلماته- مع الظلم وظلماته! - لا يغفل عن الدعوة لدينه، في كياسة وتلطف- مع الحزم والفصل- وفي إدراك لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها.. كما أنه لا يغفل عن حسن تمثيله بشخصه وأدبه وسلوكه لدينه هذا الذي يدعو إليه في سجنه. « وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » [يوسف: ٣٦].

ثانيا: بعض آداب أهل الإسلام أتباع النبي عليه الصلاة والسلام

قال الحسن البصريّ- رحمه الله تعالى-: «السّنّة، والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإنّ أهل السّنّة كانوا أقلّ النّاس فيما مضى، وهم أقلّ النّاس فيما بقي، الّذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنّتهم حتّى لقوا ربّهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا». [إغاثة اللهفان٧٠/١].

فأتباع النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل التّحلي بصفة الإنصاف، وسلوك درب المنصفين يلزم معه التّأدّب بآداب خاصّة، وقد التزم بها أهل السّنّة والجماعة، وعلى من يسير على منهجهم أن يتأدّب بتلك الآداب، وأهمّها:

١- التّجرّد وتحرّي القصد عند الكلام على المخالفين:

وذلك أنّه قد تلتبس المقاصد عند الكلام عن المخالفين، فهناك قصد حبّ الظّهور، وقصد التّشفّي والانتقام، وقصد الانتصار للنّفس أو للطّائفة التي ينتمي إليها النّاقد.. وقد حذّر شيخ الإسلام ابن تيمية من يردّ على أهل البدع من التباس المقاصد فقال: «... وهكذا الرّدّ على أهل البدع من الرّافضة وغيرهم، وإذا غلّظ في ذمّ بدعة

أو معصية كان قصده بيان ما فيها من إفساد ليحذر العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها. وقد يهجر الرّجل عقوبة وتعزيرا والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله للرّحمة والإحسان، لا للتّشفّي والانتقام».

وقد انتبه ابن القيّم- رحمه الله- إلى هذا الأمر فوضع قاعدة لمن يريد أن يتجرّد من الهوى فقال: «وكلّ أهل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت الألفاظ من الحقّ والباطل، ولا تغترّ باللّفظ كما قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جنى النّحل تمدحه
وإن تشأ قلت: ذا قيء الزّنابير
مدحا وذمًا وما جاوزت وصفهما
والحقّ قد يعتريه سوء تعبير

٢- التبين والتثبت قبل إصدار الأحكام:

وذلك امتثالا لقول الله تعالى:« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ » [الحجرات: ٦]، وقوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا » [النساء: ٩٤].

والتّبيّن والتّثبّت من خصائص أهل الإيمان، قال الحسن البصريّ- رحمه الله-: «المؤمن وقّاف حتّى يتبيّن» وقال الإمام محمّد بن عبد الوهّاب- رحمه الله-: «ومتى لم يتبيّن لكم المسألة لم يحلّ لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتّى يتبيّن لكم خطؤه، بل الواجب السّكوت والتّوقّف».

٣- حمل الكلام على أحسن الوجوه، وإحسان الظن بالمسلمين:

فالواجب على المسلم أن يحسن الظّنّ بكلام أخيه المسلم، وأن يحمل العبارة المحتملة محملا حسنًا.

فقد حثّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم على إحسان الظّنّ بالمسلم حين قال وهو يطوف بالكعبة: «ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والّذي نفس محمّد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن لا يظنّ به إلّا خيرًا».

وقال سعيد بن المسيّب: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرّا وأنت تجد لها في الخير محملاً».

٤- ألاّ ينشر سيّئات المخالف ويدفن حسناته:

فقد ذكّر الرّسول صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه بحسنات حاطب فقال: «وما يدريك يا عمر لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فكون حاطب من أهل بدر ترفعه ويذكر له في مقابل خطئه الفاحش، ولذا غفر له خطؤه.

٥- النقد يكون للرأي وليس لصاحب الرأي:

فالنّقد الموضوعيّ هو الّذي يتّجه إلى الموضوع ذاته وليس إلى صاحبه. وكان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إذا حدث خطأ من أحد أصحابه أو بعضهم. لا يسمّيهم غالبا وإنّما يقول: «ما بال أقوام»، «ما بال رجال».

٦- الامتناع عن المجادلة المفضية إلى النزاع:

وقد حذّر الرّسول صلى الله عليه وسلم من الجدل المفضي إلى الخصومة فقال: «إنّ أبغض الرّجال إلى الله الألدّ الخصم».

وقال ابن عبّاس- رضي الله عنهما-: «لا تمار أخاك فإنّ المراء لا تفهم حكمته، ولا تؤمن غائلته..».

وقال مالك بن أنس: «المراء يقسّي القلوب، ويورث الضّغائن».

٧- حمل كلام المخالف على ظاهره وعدم التعرض للنوايا والبواطن:

وقد علّمنا ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حينما قتل أسامة بن زيد المشرك بعد أن قال: لا إله إلّا الله، فلمّا علم صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك عليه، فقال أسامة: إنّما قالها متعوّذا. فقال صلى الله عليه وسلم: «هلّا شققت عن قلبه».

[نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣/٥٨٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٥٩)

قصة كفّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الغار ليلة الهجرة

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث الحديثية حتى يقف القارئ على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت عند الشيعة، ويجعلونها من خصائص عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي ينفرد بها عن جميع الصحابة رضي الله عنهم، ويجادلون أهل السنة محتجين بأن هذه القصة أخرجها علماء السنة، ومنهم الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، فيُتوهم أن القصة ثابتة.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة.

أولاً: المتن:

رُوي عن حبشي بن جنادة قال: «كنت جالسًا عند أبي بكر فقال: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَة فليقم.

فقام رجل فقال: يا خليفة رسول الله، إن رسول الله وعدني بثلاث حثيات من تمر.

قال: فقال: أرسلوا إلى عليّ.

فقال: يا أبا الحسن إن هذا يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، قال: فحثاها.

فقال أبو بكر: عدوها. فعدوها فوجدوها في كل حثية ستين تمرة لا تزيد واحدة على الأخرى.

قال: فقال أبو بكر الصديق: صدق الله ورسوله، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ونحن خارجان من الغار نريد المدينة: «كفي وكف عليّ في العدل سواء».

ثانيًا: التخريج:

١- أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/٣٦/٢٣٨٨) (ط. دار الفكر) قال: أخبرنا محمد بن طلحة بن محمد النعالي قال: قرئ على أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي وأنا أسمع قيل له: حدثك أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح التمار، حدثنا محمد بن مسلم بن وارة، حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حُبيشي بن جنادة قال: كنت جالسًا عند أبي بكر...». القصة.

٢- وأخرج هذا الخبر الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢١٣/١) ط. «دار الكتب العلمية» (ح٣٣٧) قال: أخبرنا القزّار قال: حدثنا أحمد بن علي- يعني أبا بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي- قال: حدثنا محمد بن طلحة النعالي بنفس طريق الخطيب.

ثالثًا: التحقيق:

١- هذا الخبر الذي جاءت به القصة «موضوع».

قال الحافظ الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، النوع الحادي والعشرون: «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيّ معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرهما إلا مقرونًا ببيان وضعه؛ لحديث مسلم: «من حدّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

٢- وآفة هذا الخبر أحمد بن محمد بن صالح التمار.

فقد أخرج هذا الخبر الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (١٤٦/١/٥٧٠) ط. دار المعرفة، قال:

«أحمد بن محمد بن صالح التمار قال: حدثنا ابن وارة، فذكر خبرًا موضوعًا، فهو آفته». اهـ.
ثم أخرجه فقال: «أنبأنا المؤمل البالسي ومسلم القيسي قالا: أنبأنا أبو اليمن الكندي، أنبأنا أبو منصور الشيباني، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا محمد بن طلحة النعالي أنبأنا الشافعي حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح، أنبأنا ابن وارة به.

٣- ونقل الحافظ ابن حجر كل ما قاله الحافظ الذهبي من حكم على الخبر الذي جاءت به القصة، وبيان علته وآفته، ثم نقل تخريج الإمام الذهبي للقصة وحكمه عليها بالوضع في اثني عشر سطرًا في كتابه «اللسان» (٨٥٣/٣١٢/١) ط. دار الفكر، وأقرّ ما قاله الإمام الذهبي من تخريج وتحقيق في بيان حكم وعلة.

قلت: وهناك علة أخرى في هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية، وهو محمد بن طلحة بن محمد النعالي.
ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٨٣/٥) قال:
أ- «محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان، أبو الحسن النعالي، شيخ كان يكتب معنا الحديث إلى أن مات، ويتتبع الغرائب والمناكير، وحدّث عن أبي بكر الشافعي وأبي بحر كوثر البربهاري...».
ب- ثم قال: «كتب عنه وكان رافضيًا، حدثني أبو القاسم الأزهري قال: ذكر ابن طلحة بحضرتي يومًا ابن أبي سفيان فلعنه». اهـ.

٥- قلت: من أقوال الحافظين: أبي بكر الخطيب، وأبي عبد الله الذهبي يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة:
أ- من الغرائب والمناكير التي يتعقبها محمد بن طلحة النعالي.
ب- محمد بن طلحة النعالي رافضي.
جـ- وبهذا يتبين سبب أخذ محمد بن طلحة النعالي لهذه القصة الغريبة المنكرة والتي بيّن الإمام الذهبي أنها موضوعة؛ آفتها أحمد بن محمد بن صالح التمار رواه عنه أبو بكر الشافعي وعنه محمد بن طلحة النعالي الرافضي.

٦- وهذا الانتصار للمذهب لا سيما مذاهب الفِرق السياسية بعد ظهور الفتنة وظهور الفِرق السياسية كالخوارج والشيعة من دواعي الوضع؛ حيث بين ذلك أئمة هذه الصنعة.
قال الحافظ العراقي في ألفيته نظم (٢٢٨):
«والواضعون للحديث أضربُ».
قال العراقي في «فتح المغيث» (ص١٢٢) ط «السنة»: «الواضعون للحدث أصناف بحسب الأمر الحامل لهم على الوضع». اهـ.
قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (١٠٨/٢) ط. دار المنهاج بالرياض: «الرافضة فرق متنوعة من الشيعة، وانتسبوا كذلك لأنهم بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين فأبى، وقال: كانا وزيري جدِّي صلى الله عليه وسلم، فتركوه ورفضوه». اهـ.

الرافضة لا يعترفون بأصول أهل السنة التي يرجعون إليها في مواضع الاختلاف؛ وعليه فلن يكون هناك اتفاق أبداً.

٧- قلت: وهذه القصة التي بينا آنفًا أنها موضوعة، وأن الخبر الذي جاءت به كذب مختلق مصنوع من صنع الرافضة الذين يتبرءون من الصحابيين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فجاءوا على معجزة من أعظم المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيها منقبة من أعظم المناقب للصحابي أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال فيها الله تعالى: «ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» [التوبة: ٤٠].
قلتُ: وهذا الخبر الباطل الذي وضعته الرافضة من البراهين القاطعة على عدائهم وحقدهم وحسدهم على الشيخين رضي الله عنهما، قال

الله تعالى: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» [النساء: ٥٤]، وقال سبحانه: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» [الجمعة: ٤].

بيان هذا الفضل العظيم للصحابة بنية الإمام البخاري في «صحيحه» كما في الكتاب (٦٢) كتاب فضائل الصحابة:

أ- الباب (٤) باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث (٣٦٥٥- ٣٦٧٨) بما فيها الباب الخامس في فضل أبي بكر رضي الله عنه باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلاً».

ب- الباب (٦) باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه من الحديث (٣٦٧٩- ٣٦٩٤).

جـ- الباب (٧) باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه من الحديث (٣٦٩٥- ٣٦٩٩).

د- الباب (٩) باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه من الحديث (٣٧٠١- ٣٧٠٧).

قلت: انظر إلى دقيق فقه الإمام البخاري رحمه الله في ترتيبه للصحابة رضي الله عنهم: أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وذلك في أبواب كتاب فضائل الصحابة من صحيحه.

ودقيق فقه الإمام البخاري يتبين من المصنَّف الذي صنَّفه في اعتقاد السلف وأصحاب الحديث الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني «عقيدة أصحاب الحديث» ص(٩٥) ط. دار المنهاج؛ حيث قال: «ويشهدون- يعني أصحاب الحديث- ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم هم الخلفاء الراشدون». اهـ.

قلت: وننبه طالب العلم إلى أهمية هذا المصنَّف للإمام الصابوني؛ حيث ذكره الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٠/٣٤٦٩) ط. مكتبة الصفا، قال: «ولقد كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه مصنِفٌ إلا واعترف به». اهـ.

ولكن الرافضة لا تعترف بهذه الأصول، ولا إنصاف عندهم! بل يحاولون طمس هذه الأصول بالكذب المختلق المصنوع كما بينا في قصة كف علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الغار.

رابعًا: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لقد بينا آنفًا أن الإمام البخاري رحمه الله في كتاب «فضائل الصحابة» بوّب بابًا وهو الباب التاسع ترجم له: «باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه».

ومما جاء في هذا الباب على سبيل المثال لا الحصر:

١- أخرج البخاري في صحيحه ح(٣٧٠٦) من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

وأخرج هذا الحديث البخاري (ح٤٤١٦) من حديث سعد بن أبي وقاص قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليًا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، ألا إنه ليس نبي بعدي». وأخرجه مسلم (ح٢٤٠٤)، واللفظ للبخاري.

٢- وأخرج البخاري في «صحيحه» ح(٣٧٠٢) قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ

من مذهب أهل السنة والجماعة: تقديم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعا.

الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ قَالَ لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قلت: وهناك لفظ للحديث أجمع من هذا بغير (أو) أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر (ح٤٢١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ، فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ.

قلت: هذه هي الغاية التي ربى عليها النبي صلى الله عليه وسلم قيادات الجيوش من الصحابة الذين يحملون الراية ما أحوجنا إلى هذا الهدي، وفيما ذكرناه بعض مناقب علي رضي الله عنه من حب الله له، ومنزلته من النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٣٨/١): «فضائل علي رضي الله عنه الصحيحة كثيرة، غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع ولا يرفع».

مناقب رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجلّ وأفضل مما وضعه الروافض الكارهون للإسلام وأئمته .

هذا ما وفقني الله إليه

وهو وحده من وراء القصد.

إشهار

بعد الاطلاع على القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية، وعلى قرار وزير التضامن الاجتماعي رقم ١٧٨ لسنة ٢٠٠٢م باللائحة التنفيذية للقانون وعلى مذكرة المديرية المؤرخة في ٢٠١٢/١٢/٢٣، تم بحمد الله تعالى إشهار فرع أنصار السنة المحمدية بالنعامنة، منيا القمح - الشرقية .

تنويه

ورد خطأ في صحة حديث في حوار التوحيد مع فضيلة الرئيس العام عند الجواب عن سؤال يفرّق فيه فضيلته بين الاهتمام بالشأن العام والممارسات السياسية فكتبت عبارة (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) على أنها حديث، وهي ليست كذلك، بل هي من كلام فضيلته.

ولتمام الفائدة فإننا نذكر بإيجاز ما ورد عن أهل العلم مَن حكم على تلك المقولة المشتهرة على ألسنة الناس: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، ويتناقلونها على أنها حديث:

قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤٨٠/١): حديث موضوع، وكذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٣٢/٣)، ط١/دار الكتب العلمية). والله نسأل أن يعفو عنا جميعًا.

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

ملامح وقواعد المنهج الوسطي لدى الأشعري في معتقد توحيد الصفات

الحلقة الرابعة عشرة

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعقب تطوافنا حول مذهب أبي الحسن الأشعري وما استقر عليه أمره تجاه قضية إثبات صفات الخالق سبحانه دون ما لجوء إلى تأويل أو تفويض لمعناها.. وبعد سردٍ لنماذج من أئمة الخلف الذين ساروا على دربه ورجعوا إلى ما رجع إليه وصدعوا بالحق في هذه القضية التي أراد الله أن تكون محط اختبار للأمة وامتحان.. كان لزامًا أن نعرض للأسس والقواعد المنهجية التي أقام عليها الأشعري طريقته في الوقوف على علاقة صفات الله تعالى بذاته، وذلك بعد رجوعه إلى مذهب الصحابة وكذا التابعين لهم بإحسان وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل – على ما صرح بذلك في كتابه الإبانة – لتكون لنا نبراسًا ينير ويختصر لنا الطريق.

أسس وقواعد منهج أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات:

مما تجدر الإشارة إليه أن منهج إمام المذهب أبي الحسن الذي ارتضاه لنفسه، قد أقامه على عدة أسس وقواعد رئيسية:

أولها: اعتماد الوحي في إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ونفي ما نفياه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تجسيم ولا تمثيل:

يقول الأشعري رحمه الله في كتابه (الإبانة) ص ٤٩ بعد أن ذكر أن أهل الزيغ والضلالة: قد «دفعوا أن يكون لله وجه، مع قوله: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» [الرحمن:٢٧]، وأنكروا أن يكون له يدان، مع قوله سبحانه: «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» [ص:٧٥]، وأنكروا أن يكون له عينان، مع قوله سبحانه: «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» [القمر:١٤] وقوله: «وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي» [طه:٣٩]، وأنكروا أن يكون له سبحانه علم، مع قوله: «أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ» [النساء:١٦٦].. ونفوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا) وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».. يقول: «فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة، فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون».

عقيدة الأشعري عقيدة الصحابة والتابعين:

ثم راح يبين عقيدته التي هي عقيدة الصحابة والتابعين، مصرحًا بإجراء ما ورد من الصفات على حالها بلا كيف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تجسيم، غير متعرض لتأويل ولا تحريف، قائلًا: «إن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهًا عن المماسَّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى

العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد.

وأن له سبحانه وجهًا بلا كيف، كما قال: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» [الرحمن:٢٧]، وأن له سبحانه يدين بلا كيف كما قال سبحانه: «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» [ص:٧٥]، وكما قال: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» [المائدة:٦٤]، وأن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» [القمر:١٤]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وأن لله علمًا كما قال: «أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ» [النساء:١٦٦]، وكما قال: «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» [فاطر:١١]، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج» [الإبانة ت حماد الأنصاري ص٥٠، ٥١، ت فوقية حسين ص ٢٠: ٢٢.. وينظر للمزيد ما سبق في تقرير مذهبه].

على أن ما قرره الأشعري هنا سخطًا ورضاء - سخطًا على المعتزلة وأشباههم لما أنكروه، ورضاء عن سلف هذه الأمة لما أثبتوه - فضلاً عن كونه المتفق مع السمع.. هو المتفق كذلك - وعلى ما ذكرنا مرارًا - مع ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.. وهو المتفق أيضًا مع العقل لكونه القاصر عن إدراك حقيقة الأسماء والصفات وليس له إلا التسليم والإيمان بما جاء به النص، إذ العقول لا يمكنها إدراك ما يجب إثباته لله تعالى على التفصيل الوارد في الشرع، وهذا بحد ذاته يستوجب التسليم بكل ما صحت به النصوص وعدم الاعتماد على العقول في إثباتها.

ثانيها: اعتماد أدلة العقل المستوحَاة من أدلة النقل:

وباستقصاء المنهج الذي اختطه أبو الحسن الأشعري لنفسه، يتبين لكل منصف أنه مع موافقته لمنهج السلف في إثبات صفات الله وعلاقتها بذاته تعالى، لم يغفل العقل.. وإنما يظهر ذلك في مذهبه الكلامي ودقة أسلوبه التقريري الذي تفرد به منهجه عن أصحابه وتلامذته.

ذلك أن الناظر إلى الواقع الذي كان سائدًا إبان رجوع الأشعري للمذهب الحق، يرى أن المشبهة من متبني الصفات الذين نقلوا أقاويل اليهود في الله، جعلوه سبحانه في تصورهم جسمًا كسائر الأجسام، والمعتزلة كانوا قد نفوا الصفات الذاتية عن الله تعالى، وهم وإن قالوا بإثبات بعضها فإن هذا لا يغنيهم شيئًا، لكون ما نفوه - على ما يقتضيه العقل - مؤديا إلى أن يكون الله تعالى في تصورهم عدمًا، فإن نفي ما اقتضته النصوص من صفات كماله سبحانه ونعوت جلاله، سواء كان بتعطيل أو تأويل، من لازمه نفي الذات ووصفه تعالى بالعدم المحض، لأن ما لا يوصف بصفة هو العدم.

ولهذا قالوا عن الجهمية: إنهم يقولون بـ (أن ليس في السماء إله يعبد)، وما ذلك إلا لجحودهم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، وهذا - فضلاً عما يتضمنه من تكذيب بالكتاب والسنة - افتراء على الله.. قال حماد بن زيد وبنحوه عن جرير ابن عبد الحميد والحافظ أبي معمر القطيعي أحد شيوخ البخاري ومسلم: «إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله» [مختصر العلو ص١٤٦، ١٥١، ١٨٨]، وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رحمهما الله: «ناظرت جهميًا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربًا»، وذكر العابد الفقيه الثبت الثقة أيوب السختياني ت١٣١ المعتزلة، وقال: «إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء»، وقال عباد بن العوام محدث واسط ت١٨٥: «كلمت بشرًا المريسي وأصحاب بشر، فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: (ليس في السماء شيء)، أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا» [ينظر العلو للذهبي ص ١٢٢، ٩٨، ١١٢].

وكذا مسألة زيادة الصفات الذاتية على الذات التي أثارها أهل الاعتزال، وبنوا عليها أساس مذهبهم في التوحيد، تحت زعم أنها غير الذات وأن تعددها مؤذن بتعدد القدماء.. ردها أهل السنة أيضًا وعلى رأسهم الأشعري الذي اعتمد في دحضها طريقة ابن كُلاب بأن (لا يقال: هي هو ولا يقال: هي غيره)، «وهذا منهج دقيق وأدب جم في التعامل مع الله سبحانه، من رجل انتهج المنهج العقلي، إذ يؤكد عدم الجدوى من الحكم على هذه القضية، وأنه لا يصح أن يحكم فيها، لأن ذات الله تعالى فوق أن تحيط بكنهها العقول حتى تتمكن من عقد صلة بينها وبين الصفات على هذا الوضع» [علاقة صفات الله تعالى بذاته د. راجح الكردي ص ١٣٧].

الأشعري يعتمد فكرة الحدوث والغائية في إثبات صفاته تعالى:

وقد بدأ الأشعري في سبيل إثباته للصفات

كلها، وبيان علاقتها بالذات، من فكرة الحدوث والغائية، حيث إن دليل الحدوث - الذي مفاده أن الكون حادث وكل حادث لابد له من محدث قديم - هو في رأيه لا يؤدي إلى إثبات وجود الخالق فحسب، بل يؤدي بالضرورة إلى إثبات صفاته من حياة وقدرة، لأن الميت والعاجز لا يخلق شيئًا.. كما يدل دليل الحدوث هذا على صفة الإرادة لأن الخلق من عدم، يتطلب اختيارًا من الفاعل ليخصص به وجه مراده.. ويدل كذلك على السمع والبصر والكلام لأنه لو لم يكن موصوفًا بهذه الصفات لاتصف بأضدادها من الآفات التي تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات.

ومن كلامه في هذا قوله في (رسالة إلى أهل الثغر) ص ٢١٥ وينظر معه شرح الطحاوية ص٥٧: ٦٤: «إن شيئًا من صفاته لا يصح أن يكون محدثًا، إذ لو كان شيئ منها محدثًا لكان تعالى قبل حدوثها موصوفًا بضدها - وهو العدم - ولو كان ذلك لخرج عن الإلهية وصار إلى حكم المحدثين الذين يلحقهم النقص ويختلف عليهم صفات الذم والمدح، وهذا يستحيل على الله، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال، إذ لا يجوز عليه الانتقال من حال إلى حال»..

وقوله بعدها بنفس المصدر ص ٢١٦ وما بعدها: «وأجمعوا - أي الصحابة فيما وجب اعتقاده مما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه ونبههم على صحته - على أنه.. لا يجب إذا أثبتنا الصفات له على ما دلت العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها، أن تكون محدثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفًا بها.. ولا يجب أن تكون أعراضًا، لأنه عز وجل ليس بجسم، وإنما توصف الأعراض في الأجسام، ويُدل بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها.. ولا يجب أن تكون غيره لأن غير الشيء هو ما يجوز مفارقة صفاته له من قِبَل أن في مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الألوهية وهذا يستحيل عليه.. كما لا يجب أن تكون نفس الباري عز وجل جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو في مكان دون مكان أو في غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقته لنا، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا.. ولا يجب إذا لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفسه لاستحالة كونه حياة أو علمًا أو قدرة، لأن من كان كذلك لم يتأت منه الفعل، وذلك أن الفعل يتأتى من الحي القادر العالم دون الحياة والعلم والقدرة».

والخلاصة:

أن الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن، أما كون الرب تعالى معطلاً عن الفعل ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبته، بل كلاهما يدل على نقيضه.

كما أن الأشعري استفاد من فكرة الغائية والنظام أو الإبداع التي مفادها - كما ذكر الشهرستاني في الملل ص ٧٦: أن «الإنسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة طورًا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة!، وعرف يقينًا أنه بذاته لم يكن ليدبر أمر خلقته وينقله من درجة إلى درجة ويُرَقيه من نقص إلى كمال.. علم بالضرورة أن له صانعًا قادرًا عالمًا مريدًا، وتبين له الإحكام والإتقان في الخلقة، وأن له تعالى صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها».. أقول: استفاد الأشعري من فكرة الغائية هذه، كيف «يصل إلى إثبات التنزيه لله بالوحدانية، وإلى إثبات العلم والإرادة اللتين يدل عليهما إحكام الصنعة ودقتها، وهذا المنهج العقلي للأشعري قد أوصله إلى إثبات اتصاف الله تعالى بكل صفاته من وجود وعلم وإرادة وقدرة وحياة وسمع وبصر وكلام وبقاء، وهذا هو نفس ما قرره القرآن والسنة من صفات الله تعالى، فهو إذن ملتزم في عقيدته بعقيدة السلف من الكتاب والسنة، وإنما أضاف إلى السلف منهجًا عقليًا يصد به الهجوم»[علاقة صفات الله تعالى بذاته ص ١٣٧وينظر ص٣١، ١٤٩].

ويعتمد في إثباتها أيضًا على الحِجاج العقلي دون الفلسفة:

وقد اقتضى المنهج العقلي الذي اختطه الأشعري لنفسه مؤخرًا، أن يعتمد - كما رأينا - الحِجاج أو المذهب الكلامي القائم على العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع سمعي، وأن يرفض بشدة أن تُبنى عقيدة المسلمين في توحيد الله على الأسس المستقاة من الفلسفة الهندية واليونانية والإغريقية، لما بين هذا وذاك من تباين في تصور الإله المعبود.. ولقد كان محقًا في ذلك، فقد رأينا كيف أدى ذلك بالمعتزلة وفلاسفة المسلمين إلى تعطيل صفات

الخالق جل وعلا، بدعوى أن نفيها هو لازم القول بنفي الكثرة والتركيب وبوحدة الذات الإلهية وبساطتها من كل وجه، وأن في إثباتها إيذان بتعدد القدماء، لكون هذه الصفات باعتقادهم غير الذات أو زائدة عن الذات.

فـ (الخالق) في نظر الفلسفة وكما نجده عند أرسطو الذي قضى عمره في البحث عن جواب ما الله؟، يعني: المحرك الذي لا يتحرك، وهو الأزلي الأبدي، الواحد بالعدد فلا شريك له، البسيط فلا أجزاء له، كما يعني: العقل المحض الذي يعقل ذاته، فيكون عاقلاً معقولاً، صفاته هي عين ذاته وليست غيره وإنما تعود إلى تعقله لذاته أو إلى علمه، والحياة أيضًا من صفات الله، فإن فعل العقل حياة، والله هو ذلك العقل، وفعله الصادر عن ذاته حياة فاضلة أزلية.. كما يرى أرسطو أن علاقة الباري سبحانه بالعالم ليست علاقة خالق بمخلوق، بل علاقة عاشق بمعشوق، فالله يعشق ذاته وهي معشوقة له وهو معشوق للعالم.

والفلسفة الإغريقية عمومًا قد غالت في فهم وحدة واجب الوجود، كما في واحد (أفلاطون) الذي هو فوق العقل وفوق الفكر ولا يوصف، واحد من كل وجه، بسيط من كل وجه، ونتيجة لذلك فهو عنده «إنما يُعرف بالسلب» مبالغة في عدم تحديده وليدل على أنه نهاية الكمال ونهاية الوجود الحقيقي، «أي لا شبيه له ولا مثال».. وهكذا نجد نزعة فهم الإله عند سائر الفلاسفة قبله، يصورونه بشكل يمنع اتصافه، فهو عند (طاليس): مبدع العالم، لا تُدركُ صفتَه العقول من جهة هويته، ولا يُعرف اسمَه فضلاً عن هويته، فلسنا ندرك له اسمًا من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا.. بينما يرى (أنبادُقليس) «أن الباري تعالى لم تزل هويته فقط، وهو العِلم المحض وهو الإرادة المحضة، وهو الجود والعزة والقدرة والعدل والخير والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو، وهو هذه كلها.. كما أنه متحرك بنوع سكون». ويرى فيثاغورس الرياضي أنه «واحد لا كالآحاد ولا يدخل في العدد».. إلخ [ينظر الملل والنحل للشهرستاني ص٢٩٥، ٢٥٣، ٣٠٠: ٣١٢، ٢٧٩ وعلاقة صفات الله بذاته د. الكردي ص٧١، ١١٣، ١١٤].

وقد دعا ذلك كله أبا الحسن الأشعري - وقد عرف أقاويل كل من الفلاسفة والمعتزلة - لأن يعقد مقارنة بين نفي المعتزلة للصفات وبين كلام أرسطو، ترجم لها د. حمودة بقوله: «إن أبا الهذيل قد أخذ قوله - في الصفات - عن أرسطو، فإن أرسطو قال في بعض كتبه: إن الباري علمٌ كله، قدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسَّن أبو الهذيل لفظة أرسطو، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هو»[ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٢٦].. وكان من رد الأشعري عليه في (الإبانة) ص ١٠٦، ما جاء في قوله:

«وقد قال رئيس من رؤسائهم - وهو أبو الهذيل العلاف -: إن علم الله هو الله، فجعل الله تعالى علمًا، وأُلزم، فقيل له: إذا قلت إن علم الله هو الله، فقل يا علم الله اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك فلزمه المناقضة»، واستطرد الأشعري يقول: «واعلموا - رحمكم الله - أن من قال عالم ولا علم كان مناقضًا، كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضًا، وكذلك القول في القادر والقدرة، والحياة والحي، والسمع والبصر والسميع والبصير.. ويقال لهم: خبرونا عمن زعم أن الله متكلم، قائل، آمر، ناه، لا قول له ولا كلام، ولا أمر له ولا نهي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم.. يقال لهم: فكذلك من قال: إن الله تعالى عالم ولا علم له، كان كذلك مناقضًا خارجًا عن جملة المسلمين».. وألزم بمثل ذلك في الإرادة، وفي سائر ما نفاه النفاة والمعطلة من الصفات.

وفي حين نجد أبا الحسن الأشعري يرفض في اعتماد المنهج العقلي للتعرف على صفات الخالق، هذا المذهب الفلسفي - الذي يحلو لجامعاتنا حتى في الأزهر أن تقرنه دائمًا وأبدًا بالعقيدة - لما يستلزمه من نفي صفات الله وتعطيلها، نراه في المقابل يعتمد في ذلك المذهب الكلامي، وفرق بينهما.

ويصف الكثيرون مذهب أبي الحسن الأشعري في إثبات الصفات - لأجل ما سبق ذكره - بأنه المنهج الوسط بين النقل والعقل، ولا يعنون بتلك الوسطية أنها التوفيق أو التلفيق، ولكن كونه الذي أشعر بضرورة مساندة العمل العقلي للنص في تقريره على وجه يلزم الخصم العقلي.

وإلى لقاء آخر نستكمل - بمشيئة الله تعالى - بقية القواعد التي بنى الأشعري عليها كلامه في إثبات الصفات وترك التأويل الذي دأب عليه المعتزلة والمتكلمة إلى يومنا هذا، والحمد لله رب العالمين.

دراسات قرآنية



الأمثال في القرآن

المنّ والأذى يُحبِط الصدقة

الحلقة السابعة

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو من سورة البقرة، الآية الرابعة والستون بعد المائتين وهي قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » [البقرة: ٢٦٤].

المعنى الإجمالي:

تضمنت هذه الآية الإخبار بأن المن والأذى يُحبط الصدقة، وهذا دليل على أن الحسنة قد تُحبَط بالسيئة كما في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » [الحجرات: ٢]. (الجامع لأمثال القرآن: ص٧٣).

وقد مثّل الله هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيثنوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثل ذلك مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس، لا شيء عليه فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحل أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه، والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها. (التفسير الميسر ص٤٤) بتصرف.

قال ابن عطية: ثم مثل الله هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي ينفق رياءً لا لوجه الله، والرياءُ مصدر من الرؤية، كأن الرياء تظاهر وتفاخر بين مَن لا خير فيه من الناس. قال المهدوي: والتقدير: كإبطال الذي ينفق رياءً.

وقوله تعالى: «وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [البقرة: ٢٦٤]، يحتمل أن يريد الكافر الظاهر الكفر، إذ ينفق ليقال جواد، وليثني عليه بأنواع الثناء ولغير ذلك، ويحتمل أن يريد المنافق الذي يظهر الإيمان.

ثم مثل هذا الذي ينفق رياءً بصفوان عليه

تراب، فيظنه الظان أرضًا منبته طيبة، كما يظن قوم أن صدقة هذا المرائي لها قدر أو معنى، فإذا أصاب الصفوانَ وابلاً من المطر انكشف ذلك التراب، وبقي صلبًا، فكذلك هذا المرائي إذا كان يوم القيامة، وحضرت الأعمال، وانكشف سره، وظهر أنه لا قدر لصدقته ولا معنى.

فالمن والأذى والرياءُ يكشف عن النية، فيبطل الصدقة، كما يكشف الوابل الصفا فيذهب ما ظُنَّ أرضًا. [المحرر الوجيز ٦٣/٢].

المعنى المفصل:

قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا»: تصدير الخطاب بالنداء يدل على الاهتمام به؛ لأن النداء يحصل به تنبيه المخاطب، فيدل على العناية بموضوع الخطاب، ولهذا فإن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا سمعت الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا» فأرعها سمعك، فإنه خير تُؤمر به، أو شر تُنْهَى عنه». وصدق رضي الله عنه.

قوله «لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم» [البقرة: ٢٦٤]، الإبطال للشيء يكون بعد وجوده، فالبطلان لا يكون غالبًا إلا فيما تم، و«الصدقات» جمع صدقة، وهي ما يبذله الإنسان تقربًا إلى الله.

قوله تعالى: «بالمن والأذى» الباء للسببية، و«المن» إظهار أنك مانّ عليه، وأنك فوقه بإعطائك إياه، و«الأذى» أن تذكر ما تصدقت به عند الناس فيتأذى به.

قال مقاتل بن حيان: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» هو الرجل يمنّ بصدقته، ويؤذي الذي يتصدق عليه فهو بمنزلة « كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ » [البقرة: ٢٦٤] يعني به المنافق .

فضرب الله لتلك الصدقة عمل المنافق مثلاً، وضرب الله لهما مثلاً أيضًا، فقال: مثلهم «كمثل صفوان عليه تراب» يعني الحجر، «فأصابه وابل» يعني: المطر ترك الحجر نقيًا من التراب. [انظر: تفسير ابن عثيمين ٣١٩/٣- أمثال القرآن للماوردي ص١٤٩].

قوله تعالى: « كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ » [البقرة: ٢٦٤] الكاف هنا للتشبيه، وهي خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: مثلكم كالذي ينفق ماله رئاء الناس، و«رئاء» مفعول لأجله، وهي مصدر راءى يرائي رئاءً ومراءاة، كقاتل يقاتل قتالاً ومقاتلة، وجاهد يجاهد جهادًا ومجاهدة، و«الرياء» فعل العبادة ليراه الناس فيمدحوه عليها.

قال ابن كثير ٤١٥/١ في قوله تعالى: «كالذي ينفق ماله رئاء الناس» أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى الناس بما ظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليُشْكَر بين الناس، أو يُقال: إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه. اهـ.

قوله تعالى: «وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ» [البقرة: ٢٦٤] معطوف على قوله تعالى: «ينفق»، وهذا الوصف ينطبق على المنافق، فالمنافق- والعياذ بالله- لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا ينفق إلا رياء للناس، ومع ذلك لا ينفق إلا وهو كاره، كما قال تعالى: «وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ» [النساء: ١٤٢]، وقال في سورة التوبة: «وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ» [التوبة: ٥٤]، هؤلاء لا ينفقون إلا وهو كارهون، لأنهم لا يرجون من هذا الإنفاق ثوابًا؛ إذ إنه لا إيمان عندهم.

«فمثله»: أي مثل الذي ينفق رئاء الناس أو المانّ المعطي، وقد عدل عن خطاب إلى غيبة ومن جمع إلى إفراد «كمثل صفوان» الصفوان الحجر الكبير الأملس الصلب، وفيه لغتان أشهرهما سكون الفاء والثانية فتحها، قال الأخفش: صفوان جمع صفوانة، وقال الكسائي: صفوان واحد وجمعه صفي، وأصفي وأنكره المبرد، وقال النحاس: يجوز أن يكون جمعًا وأن يكون واحدًا وهو أولى لقوله: «عليه تراب» أي: استقر على الصفوان.

«فأصابه» أي: الصفوان أو التراب «وابل» أي: مطر، والوابل المطر الشديد العظيم القطر، والمطر أوله رش، ثم طش، ثم طل، ثم نضح ثم هطل ثم وبل، يقال وبلت السماء وبلاً، ووبولا اشتد مطرها، وكان الأصل وبل مطر السماء فحذف للعلم به، ولهذا يقال للمطر: وابل، مثّل الله سبحانه هذا المنافق بصفوان عليه تراب يظنه الظان أرضًا منبتة طيبة فإذا أصابه

وابـل من المطـر أذهب عنه التـراب، «فتركه» أي: الصفـوان يعني بقـي «صلدًا» أي: أجرد نقيًا من التراب الذي كان عليه، وأملس ليس عليه شـيء مـن الغبار أصـلاً، وكذلك حال هـذا المرائي يوم القيامة فإن نفقته لا تنفع ، قال ابن عباس: صلدًا أي يابسًـا قاسـيًا لا ينبت شـيئًا. [تفسـير فتح البيان لصديق خان القنوجي ١/٣٨٨ بتصرف].

قوله تعالـى: «لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا» [البقـرة: ٢٦٤]، صـح عـود واو الجماعـة فـي «يقـدرون» علـى «الذي» فـي قوله: «كالـذي ينفق ماله» لأن «الذي» اسم موصول يفيد العموم، فهو بصيغتـه اللفظية مفرد، وبدلالته المعنوية جمع؛ لأنه عام، ومعنى «يقدرون» يريد به الذين ينفقون ريـاءً، أي: لا يقدرون على الانتفاع بثواب شـيء من إنفاقهم ذلك، وهو كسـبهم- وجاءت العبارة بيقدرون على معنى الذي، وسـمى الله عز وجل ما أنفقوا كسـبًا باعتبار ظنهم أنهم سينتفعون به.

قولـه تعالى: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٦٤]، قـال ابن عطية فـي المحرر الوجيز ١/٦٥: إمـا عموم يـراد به الخصوص فـي الموافي على الكفـر، وإما أن يُراد به أنه لم يهدهم في كفرهم، بل هو ضلال محض، وإما أن يريد أنه لا يهديهم في صدقاتهم وأعمالهم وهم على الكفر.

وقال ابن عثيمين رحمه الله في قوله تعالى: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [البقـرة: ٢٦٤] أي: لا يهـدي سـبحانه الكافريـن هدايـة توفيق، أما هدايـة الدلالة فإنه سـبحانه لم يدع أمة إلا بعث فيها نبيًا، لكن الكافر لا يوفّقه الله لقبول الحق، و«الكافرين» أي الذين حقت عليهم كلمة الله، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» [يونس: ٩٦، ٩٧].

من فوائد الآية:

١- مـن فوائـد الآيـة: تحـريم المـن والأذى فـي الصدقـة لقولـه تعالـى: «لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ» [البقرة: ٢٦٤].

٢- ومنهـا: بلاغـة القرآن، حيث جـاء النهي عن المـن والأذى بالصدقة بهذه الصيغة التي توجب النفـور، وهي: «لا تبطلوا صدقاتكم» فإنها أشـد وقعًا من «لا تَمُنُّوا»، ولا تؤذوا بالصدقات.

٣- ومنها: أن المن والأذى بالصدقة يبطل ثوابها لقوله تعالى: «لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ».

٤- ومنهـا: أن المـن والأذى بالصدقـة كبيرة من كبائـر الذنوب . وجه ذلك: ترتيـب العقوبة على الذنب يجعله من كبائر الذنوب ، وقد قال شـيخ الإسـلام فـي حـد الكبيـرة: «كل ذنب رُتـب عليه عقوبـة خاصـة، كالبـراءة منـه، ونفـي الإيمان، واللعنة، والغضب، والحد وما أشـبه ذلك، وهذا فيـه عقوبة خاصـة، وهي إبطال العمـل، ويؤيد ذلـك مـا ثبت في صحيح مسـلم مـن حديث أبي ذر رضـي اللـه عنـه أن النبـي صلـى اللـه عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

٥- ومنهـا: أن المن والأذى بالصدقة مناف لكمال الإيمـان؛ لقوله تعالـى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ» [البقرة: ٢٦٤] كأنه يقول: «إن مقتضـى إيمانكـم أن لا تفعلـوا ذلـك وإذا فعلتمـوه صـار منافيًا لـهذا الوصـف، ومنافيًا لكماله».

٦- ومنهـا: تشـبيه المعقول بالمحسـوس ليقربه إلـى الذهـن لقولـه تعالـى: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٦٤]. إلخ.

٧- ومنها: تحـريم مراءاة الناس بالعمل الصالح، لقوله تعالى: «كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ» [البقرة: ٢٦٤]، والتسـميع كالمـراءاة، والفـرق بينهما أن المـراءاة فيمـا يُـرى- كالأفعال- والتسـميع بما يقال.

٨- ومنهـا: أن مـن راءى النـاس بإنفاقـه ففـي إيمانه بالله، وباليوم الآخر نقص، لقوله تعالى: «وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [البقرة: ٢٦٤]؛ لأن الذي يرائـي لـو كان مؤمنـًا بالله حـق الإيمان لجعل عملـه للـه خالصًا، ولو كان يؤمـن باليوم الآخر حـق الإيمـان لم يجعـل عمل الآخـرة للدنيا؛ لأن مراءاة الناس قد يكسـب بها الإنسـان جاهًا في الدنيـا فقـط، مع أنـه لا بد أن يتبين أمـره، وإذا تبـين أنه مراء نزلت قيمته في أعين الناس: أنت

لا تظن أنك إذا راءيت الناس أنك ستبقى مخادعًا لهم، بل إن الله سبحانه وتعالى سيُظهر ذلك، فما أسرَّ إنسان سريرة إلا أظهرها الله سبحانه على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

٩- ومنها: بلاغة القرآن في التشبيه، لأنك إذا طابقت بين المشبه والمشبه به، وجدت بينهما مطابقة تامة.

١٠- ومنها: إثبات كون القياس دليلاً صحيحًا، وجه ذلك: التمثيل والتشبيه، فكل تمثيل في القرآن فإنه دليل على القياس؛ لأن المقصود به نقل حكم هذا المشبه به إلى المشبه.

١١- ومنها: أن الرياء مبطل للعمل، وهو نوع من الشرك، لقوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». رواه مسلم

فإن قصد بعمله إذا رآه الناس أن يتأسى الناس به، ويسارعوا فيه فهي نية حسنة لا تنافي الإخلاص؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وقال: «إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي» رواه البخاري ومسلم

وفي الحج كان صلى الله عليه وسلم يقول: «لتأخذوا عني مناسككم». رواه مسلم، وهو داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة». رواه مسلم

١٢- ومن فوائد الآية: الإشارة إلى تحسر هؤلاء عند احتياجهم إلى العمل، وعجزهم عنه؛ لقوله تعالى: « لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا» [البقرة: ٢٦٤]، وعجز الإنسان عن الشيء بعد محاولة القدرة عليه أشد حسرة من عدمه بالكلية، ألم تر إلى قوله تعالى: « أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا» [الواقعة: ٦٣- ٦٥]، وكونه حطامًا ينظرون إليه أشد حسرة من كونه لم ينبت أصلاً، وقوله تعالى: « أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا» [الواقعة: ٦٨- ٧٠]، أجاجًا: أي شديد الملوحة، وكونه بين أيديهم أجاجًا لا يستسيغون شربه أشد مما لو لم يوجد أصلاً، والإنسان العاقل يجعل العمل لله، فالذي يحب أن يخرج للناس في ثوب جميل، لا بأس أن يتجمل ليراه الناس على هذا الحال، لكن لا يصلي ليراه الناس؛ لأن العمل لله يجب أن يكون لله لا يشاركه فيه أحد.

١٣- ومن فوائد الآية: أن من قضى الله عليه بالكفر لا تمكن هدايته؛ لقوله تعالى: «وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ» [البقر: ٢٦٤] ، فإن قلت: كيف تجمع بين هذا وبين الواقع من أن الله سبحانه وتعالى هدى قومًا كافرين كثيرين؟ فالجواب أن من هدى الله لم تكن حقت عليهم كلمة الله، فأما من حقت عليه كلمة الله فلن يُهدى، كما قال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ» [يونس: ٩٦، ٩٧].

١٤- ومنها: أن المنافق كافر، لقوله تعالى: «وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ» [البقرة: ٢٦٤]، بعد أن ذكر ما يتعلق بصفة المنافق، وهو الذي ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا ينطبق تمامًا على المنافقين، ولا ريب أن المنافقين كفار- وإن تظاهروا بالإسلام-، ولكن هل نعاملهم معاملة الكفار؟

الجواب: لا نعاملهم معاملة الكفار؛ لأن أحكام الدنيا تجري على الظاهر وأحكام الآخرة تجري على الباطن والسرائر، كما قال تعالى: « أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ» [العاديات: ٩- ١٠]، وقال تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ» [الطارق: ٩]، ولأنه لو عُومل الناس في الدنيا على السرائر لكان في ذلك تكليف ما لا يُطاق من وجه، وكان في ذلك الفوضى التي لا نهاية لها من وجه آخر، أما تكليف ما لا يُطاق فلأننا لا نعلم ما في صدور الناس، فلا يمكن أن نحكم عليهم، وأما الفوضى فلأنه يستطيع كل ظالم له ولاية أن يعاقب هذا الرجل، أو يعدم هذا الرجل بحجة أنه مبطن للكفر، ولما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل المنافقين قال: «لا أقتلهم، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» رواه البخاري.

وهذه الفوائد السابقة من كلام العلامة ابن عثيمين رحمه الله بتصرف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقفة مع النفس

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله يبدئُ ويعيدُ، خلق السماوات والأرض بالحق، يكورُ الليل على النهار، ويكورُ النهار على الليل، أحصى على الخلق أعمالهم، فهو بكل شيء محيط، وعلى كل شيء شهيد، وأصلي وأسلم على إمام المرسلين وسيد ولد آدم يوم الدِّين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعدُ:

فإنَّ المُوَفَّق من يسعى لصلاح حاله، بحيث يكون غده خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، والكيِّس مَن حاسبَ نفسه، وراجع حساباته، وفتح صفحةً جديدة من حياته، وتعهد رصيده الأخرويَّ، وتزود من العمل الصالح، وقدَّر لخطاه مواضعها، فعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، والحصاد هناك في الآخرة، فلا يحسن بالمسلم أن يضيّع أوقاته وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه، ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن من أنَّ الكافر والمقصر في عمل الخير إذا حضر أحدهما الموت طلب الرجعة إلى الحياة؛ ليعمل العمل الصالح الذي يدخلهما الجنة، ويتدارك به ما سلف منهما من الكفر والتفريط وأنه لا يُجاب لذلك، كقوله تعالى: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

وقوله تعالى: « وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا» [المنافقون:١٠- ١١]، وقوله تعالى: « وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ » [إبراهيم: ٤٤].

وكما أن المفرطين يطلبون الرجعة عند حضور الموت، ليصلحوا أعمالهم فإنهم يطلبون ذلك يوم القيامة، ومعلوم أنهم لا يُجابون إلى ذلك، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا

﴿بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥١- ٥٣]، وقد تضمنت هذه الآيات التي ذكرنا، وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند حضور الموت، ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى، ووقت عرضهم على النار.

وإذا كان الأمر كذلك- أيها الأحبة- ، فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزود من نفسه لنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار.

الحذر من دار الغرور:

وأما الدنيا فحياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، جديدها يبلى، وملكها يفنى، ودّها ينقطع، وخيرها يُنتزع، المتعلقون بها على وجل؛ إما في نعيم زائل أو بلايا نازلة، أو منايا قاضية، العمر قصير، والخطر المحدق كبير، والمرء بين حالين: حالٍ قد مضى لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه، ومن أصلح بينه وبين ربه كفاه ما بينَه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملاً.

أهمية محاسبة النفس:

فعليك أخي الحبيب أن تستدرك ما فات بما بقي، فتعيش ساعتك ويومك، ولا تستغل بالندم والتحسر من غير عمل، واعلم أن من أصلح ما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وبما بقي، والموت يأتي بغتة، فأعط كل لحظة حقها، وكلل نفسٍ قيمته.

قرأ الحسنُ- رحمه الله- قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، فقال: يا ابن آدم، بُسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان أحدُهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فصاحبُ اليمين يكتبُ الحسنات، وصاحبُ الشمال يكتب السيئات، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، فإذا متَّ طويت صحيفتك، وجُعلت في عنقك، فتخرجُ يوم القيامة، فيقال لك: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، ثم قال- رحمه الله-: عدل- والله- من جعلك حسيب نفسك.

واعلموا- إخواني- إن من حاسب نفسه في الدنيا خفَّ في القيامة حسابه، وحسن في الآخرة منقلبه، ومن أهملَ المحاسبة دامت حسرتُه وساءَ مصيره، وما كان شقاء الأشقياء إلا لأنهم كانوا لا يرجون حسابًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢١- ٣٠].

وقفة محاسبة في نهاية العام:

فيا إخواني- ما دمنا جميعًا نوقن بأنَّ الموت نهاية كل حيٍّ في هذه الدنيا، وأن بابه سيلجه كل أحد، وكأسه تذوقها كل نفس، وأنه خاتمةُ المطاف، ونهاية التطواف في عالَم الدنيا، فإنه يجدر بنا- ونحن نُودِّع في هذه الأيام عامًا

هجريًا كاملاً، ونختتم سنة من أعمارنا- أن نقف وقفةً حازمةً مع نفوسنا، نذكرها بهذه الخاتمة، وأهميتها في حياة الإنسان، من كونِ كلِّ إنسان.

خَطَبَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «ألا إن الدنيا قد ولت مدبرةً، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

فتزودوا- إخواني- من دنياكم قبل الممات، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات، وبادروا بالأعمال الصالحات، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات، قبل أن يُنادى بكم مُنادِ الشتات، قبل أن يُفاجئكم هادم اللذات، قبل أنْ يتصاعد منكم الأنين والزفرات، قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات، قبل أن يغشاكم من غمٍّ الموت الغمرات، قبل أن تُزعجوا من القصور إلى بطون الفلوات، قبل أن يُحال بينكم وبين ما تشتهون من هذه الحياة، قبل أن تتمنوا رجوعكم إلى الدنيا وهيهات.

المبادرة إلى التوبة وترك التسويف:

قال بلال بن سعد: يُقال لأحدنا: تريد أن تموت؟

فيقول: لا، فيقال له: لِمَ؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا.

فالواجب المبادرة إلى التوبة وترك التسويف، فإنَّ تأخير التوبة هو- بحدِّ ذاته- ذنبٌ يستحقُّ التوبة، كيف وإن المؤمن ليخشى أن يُحال بينه وبين التوبة وهو لا يشعر، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم؟ يطلبُ حُسن الخاتمة، وينشدُ الميتة الحسنة ليفوز بما بعدها، ويخشى من سوء الخاتمة وميتة السوء، لشدة ما بعدها وهوله، ولقد جاء في كتاب الله سبحانه التأكيد على أهمية حُسن الخاتمة، يقول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٠٢]، ويقول سبحانه: «وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ» [الحجر: ٩٩].

فالأمر بتقوى الله وعبادته مستمرٌ حتى الموت، لتحصل الخاتمة الحسنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالخواتيم». [البخاري: ٦٦٠٧]، وإذا كان الإنسان لا يدري متى يفجؤه الأجل؟ ولا متى يباغته الموت؟ فإنَّ عليه أن يستعدَّ لهذه اللحظة المفاجئة بالعمل الصالح، وقد حذر المولى- تبارك وتعالى- من ذلك، فقال سبحانه: «إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [النساء: ١٧- ١٨].

فجد- أخي- في التوبة وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد، فسارع إلى التوبة، وهُبَّ من الغفلة، واعلم أنَّ خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل، فاصدق في ذلك السير.

أعظم الاغترار:

قال يحيى بن معاذ- رضي الله عنه-: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط، ومن أحبَّ الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف من النار انصرف عن السيئات. اهـ.

وقال الحسن البصري: إنَّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي. وكذب.. لو أحسن الظن لأحسن العمل. اهـ.

اللهم إنا نسألك أن تجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واختم لنا عامنا هذا بالتوبة النصوح والعمل المتقبل المرفوع إنك ولي ذلك والقادر عليه.



العبودية سبيل النجاة

أ. د: أسامة محمد عبد العظيم حمزة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإنه لا يخفى على ناظر حال أمتنا وما أحاط بها من فتن، وما ألَمّ بها من محَن، وإن من رحمة الله عز وجل ومنّه أن شرع لعباده- وهو أعلم بما يصلحهم «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الملك : ١٤]- شريعة غراء، وإن المتأمل في هذه الشريعة ليجد فيها من أسباب الدواء ما هو جدير بالخروج بالأمة مما هي فيه، مما ألمّ بها، وكان من أهم معا لم هذا المنهج الرباني للخروج بالأمة مما هي فيه: أن تحقق هذه الأمةُ العبوديةَ لربها، وإنّ وسائل تحقيق العبودية لرب العالمين كثيرة، غير أننا نعالج منها في كلمتنا هذه مسلكين فقط، زيادة عما هو بديهي من الوسائل الأخرى؛ من تحقيق للإخلاص والتوبة إلى الله عز وجل، ذلكم المقام (مقام التوبة) الذي كان لا يفارقه النبي صلى الله عليه وسلم أبدًا، كما في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» [البخاري: ٦٣٠٧].

المسلك الأول: الإيمان والتقوى

وأما المسلك الأول فدل عليه قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأعراف : ٩٦].

إن ذلك يدُلك على أن المخرج من ذلك المأزق ليس في زيادة الإنتاج، ولا في ضخّ الأموال، ولا في فتح فرص العمل، ولا في شيء من عطف الكفار، وأن المتعين لذلك الخروج من المحن، أن يتحقق في المؤمنين أنهم «آمنوا واتقوا».

قال الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [الأعراف: ٩٦].

لم تزل تلك البركات بيد رب الأرض والسماوات، لم يستطع أحد من البشر لا التحكم فيها ولا منع شيء منها، وحقك أن تتفكر في تذييل الآية: «وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأعراف : ٩٦]، فإن فات «آمنوا واتقوا»، فإن

البديل «كذّبوا»، وهو يدلك كذلك على طريق الحل.
إن طريق الحل مدافعة ما في الأمة من التكذيب، إن ما في الأمة من التكذيب مجموع ما في الأفراد من كل أحد من شُبَه في نفسه وشهوات مناقضة للإيمان، وغير ذلك من أسباب الطغيان.

فأنت لا بد أن ترجع إلى ذلك الحل مبتدئًا بنفسك، «ولكن كذبوا»، تُبْتُ إليك، تُبنا إليك من التكذيب يا رب العالمين.

ولو رجع كل أحد على نفسه؛ يشكوها إلى تعالى، يشكو ما يعرض له، وما يناله، وما يشوش خاطره، وما يصيب قلبه وفكره، يشكوه إلى الله تعالى، ويبث تلك الشكوى في ركوعه وسجوده، «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٩٦].

إن المطلوب من مجامع أهل الدين وفي مواقع خلواتهم ومواقع انفرادهم أداء الصلوات المعلومات وتحريك القلوب لذكر رب الأرض والسماوات.

إن المطلوب القيام والركوع والسجود، والتشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، «سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ» [الفتح: ٢٩]، حتى يؤثر السجود في خشوع القلب، وسماحة الوجه، وبراءة النفس، والانكسار لرب العالمين، رجونا ألا يخيب الله عز وجل أمل هذه الأمة فينا.

المسلك الثاني: الاستعانة بالصبر والصلاة:
أما السبيل الثاني ففي قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ» [البقر: ١٥٣]، هذا الهم إنما صرخ بالناس؛ لأن بهم همومًا يتغافلون عنها فاحتاجوا أن ينبّهوا بصراخ هذا الهم العام على ما هم عنه يتغافلون من هموم قلوبهم ومن آفات أحوالهم، «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ» [البقر: ١٥٣]، فذلك تكليف عام.

إن الأمة كلها تحتاج للخروج من هذا المأزق إلى الصبر على ما قدّره الله تعالى، وأن تقبل ذلك القدَر، وتسكن تحته، وتتفكر في أسبابه، وتعبد الله تعالى.

وكذلك الصبر على الطاعات، فإن الأمة محتاجة إلى اتساق الطاعات.

وكذلك الصبر عن المعاصي المهلكات. قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ» [البقر: ١٥٣].

الصلاة ملجأ وراحة:

فلم تزل الصلاة موضع لجوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تزل الصلاة موضع سرور نفسه صلى الله عليه وسلم، بل وراحة قلبه.

فأنت محتاج إلى صلاة يتحقق معها هذان الوصفان، أو أنت محتاج لأن توظف الصلاة ليتحصل منها هذان الغرضان، أن تفر إليها إذا أصابك همّ، وأن تُسَرّ بها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا حَزَبه أمر صلّى» [أبو داود (١٣٢١) وصححه الألباني]، فالفزع إلى الصلاة هو الدواء العام، فدواء الأمة لما هي فيه أن نسوق الناس إلى الصلاة صغارًا وكبار، فُسّاقًا وأبرارًا، كلهم يُساق إلى الصلاة، وأن تسوق نفسك للخروج من مأزقها إلى الصلاة.

كان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبه أمر فزع إلى الصلاة؛ فأمر الأمة العام الذي حزبها واشتد عليها، وضاق السبيل لخروجها منه، إن السنة وإن الطريق هو الإسراع إلى الصلاة، كما كان يفزع صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة إذا أهمه شيء.

وأنت محتاج أن تلتمس راحة قلبك في الصلاة، كلما غلبك أمر، وكلما ساءك فعل فأنت محتاج إلى راحة، إنها في: «أرحنا بالصلاة».

جاء في سنن أبي داود: كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرِحْنَا بِهَا» [أبو داود ٤٩٨٧ وصححه الألباني]، فالصلاة سبيل الراحة.

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ» [البقر: ١٥٣]، فأنت محتاج إلى صبر على الصلاة حتى تكون الصلاة ملجأك في المأزق، محتاج إلى صبر على صلاتك التي يكون فيها ذهاب همك وفوات غلك وراحة قلبك.

وأنت محتاج إلى صبر آخر على الصلاة، ليكون في تلك الصلاة نعيم نفسك، بعد أن ترتاح تتنعم وتسعد؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «جُعلت قرة عيني في الصلاة» [سنن النسائي ٣٩٣٩ وصححه الألباني]، فإنه إذن يصلي صلاة غير التي نصليها، فإنني إذن أصلي صلاة أحتاج بعدها إلى صلاة أخرى أصليها، أحتاج في هذه الصلاة إلى صلاة أخرى، وأحتاج للوصول إلى الصلاة الأخرى إلى صلاة بعدها، وأحتاج بعد حصول تلك الصلاة إلى صلاة تكون شكرًا لها؛ حتى تكون كمن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم في وصف رجل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم: «ورجل قلبه معلّق بالمساجد» [صحيح البخاري ٦٦٠].

وانظر إلى حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:
ولك أن تلحظ الوصف الذي اختاره الله تعالى

لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لترى الفرق في العطاء والوصف الذي استحققنا به البلاء.

إن الله عز وجل وصفهم فقال : « تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا» [الفتح : ٢٩]، فكان ذلك هو موقع العين منهم، كلما وقعت عينك أبصرت الركوع والسجود، فرجعت فإذا الركوع والسجود فرجعت -ما سئمت المراجعة- وما سئمت أن ترى الركوع والسجود.

لم يقل يركعوا ويسجدوا، بل أُخلصت الصلاة بقلب حاضر، وذهن خاشع، وتمجيد لرب العالمين، وانتفاع بأقداره.

إنه وصف زائد، عما هو أداء الصلوات المكتوبات، « فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ» [النور : ٣٦].

فتجد الصلوات المكتوبات مُعبرًا عنها بمقصودها الذي دل عليه وأوصل إليه الوصف الآخر، « يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ» [النور : ٣٦].

قوله تعالى: « يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا»، وكأنك محتاج إلى ركوع وسجود آخرين تبلغ بهما أن تكون الصلاة « يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ»، أن تكون الصلاة ذلك التسبيح والتمجيد الذي هو: تعبُّد بالقَدَر، وتعظيم لرب البشر، حتى يقع التسبيح منك في مدافعة ما في نفسك من اتهام القَدَر، وحتى تلحظ مع كل تسبيحة موقع تربية سيق ذلك القدر لها.

سبحان الله! إن ذلك يعني أن فعل الله عز وجل مقدَّس، وأن ذات الله عز وجل منزهة، والذي يدور في قلبك: لماذا فعل فيّ فلان كذا؟ لماذا مرِضت اليوم؟ ما الذي في جسمي من التعب، لماذا قل المال، لماذا اعوجّ العيال؟ الجواب: إنها مواقع أقدار.

إنّ للتسبيح وظيفة؛ أن تنزّه القدر فيما فعل الله عز وجل ودبّر، وأن تجعل في مقام كل قدَر موضع لطف من عملك تستدعي بذلك التسبيح المعونة عليه، عرفت « يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ» [النور : ٣٦]، ذلك هو التسبيح، والذي فيك من الأوجاع فعل من الله تعالى، وهو فعل مقدّس، وفعل بالعدل فيك، لأوجاع- لو كان ذلك في عموم دينك -التقصير حاصل- فجعل ذلك الذي في البدن تنبيهًا على ما في الدين.

فجملة (سبحان الله) تعني عدل الله في ذلك، ورحمته بك، وحتى ذلك التسبيح أن يستدعي مع كل تسبيحة مفقودًا من المفقودات، ليكون مع أول ذلك التسبيح: استدعاء التوحيد، فإن الوجع العام أو الاختلال التام أو الشيء الذي لا تكاد تنفك عنه مرتبط بأصل الدين الذي هو توحيد رب العالمين، فتسبيحك إعلان بعدل الله وقبولك له واستدعاء وطلب من الله تعالى لدواء التوحيد، رأيت كم أني وأنت محتاجان إلى « تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا» لأبلغ وتبلغ: «يسبح له فيها بالغدو والآصال»، ورأيت أن نقصان ذلك التسبيح معناه استدعاء الركوع والسجود، وأن ذلك يعني نقصان ذلك الوصف مني ومنك.

استدعاء المعونة بالصلاة:

لم يزل العبدُ محتاجًا إلى أن يستغرق في الركوع والسجود، يقوم ويركع ويسجد، ثم يقوم ويركع ويسجد، لا يسأم ولا يمل، ويعتريه التعب فيستدعي بالصلاة المعونة، لا يصلي بنفسه إنما يصلي بالله، يستدعي معونة الله، يستدعي بالصلاة المعونة على الصلاة، يصلي ليصلي، ويصلي ليبلغ: « يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ» [النور : ٣٦].

رأيت كيف أن ذلك هو أصل الإيمان؟ وكيف أن خروج الأمة مما هي فيه موقوف على خروجك أنت مما أنت فيه وعنه تتغاضى وتتعامى، وأن ذلك الخروج يعني تحقيق سلامتك، وإتمام سرورك وسعادتك، وأن في ذلك كمال التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم.

عبرة من حال أئمة المسلمين:

وانظر إلى حال أئمة المسلمين ممن تلقتهم الأئمة بالقبول، كيف حققوا ذلك المسلك علمًا، وبقي أن يحقق منك ذلك المسلك عملاً، إذا عرفت أن أئمة الأمة الذين ساق الله الأمة إليهم بل وقسّم الأمة على أقوالهم، عرفت أن الأئمة المتبوعين مالكًا والشافعي وأبا حنيفة وأحمد بن حنبل، كانت لهم أوراد بالمئات من الركعات كل يوم، فورد أن بعضهم كان لا يُقلّ عن مائة ركعة.

عرفت كيف صحح ذلك مقالهم؟ كيف ساق الله عز وجل قلوب الأمة لمحبتهم؟ كيف قسّم الأمة على فقههم وعلمهم؟ إن ذلك الذي تنتظره الأمة من أهل الدين، أن يكونوا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متشبهين، وأن يكون من الراكعين الساجدين: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ» [البقرة: ١٥٣].

وهذه الصلاة كذلك محتاجة إلى صبر، فلا تستطيع أن تصلي حتى يُصبّرك الله عليها، إذن فأنت محتاج إلى معونة الله تعالى دائما .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمنّ علينا جميعًا بعبودية يرضى بها عنا، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

مراعاة الشريعة للمشاعر والأحاسيس



إعداد/ إعداد: مصطفى العدوي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده رسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعدُ: فمن أعظم سمات هذا الدين: رفع الحرج عن المكلفين، ومراعاة قدراتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، وهذا دليل على أن الإسلام دين يسر وسهولة، لا دين مشقة وحرج، وجاء الشرع الكريم بالرحمة والرأفة، وراعى قدرات الخلق، وأجاز أموراً ممنوعة للضرورة ، ومن ذلك:

أولاً: مراعاة مشاعر الأحياء بالكف عن موتاهم:

جاء عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات أبوه عبد الله بن أُبي، وكان أبوه رأس المنافقين كما هو معلوم، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (يا رسول الله! استغفر لأبي، وألبسه قميصك!) يعني: لعله أن يُرحَم بسبب ذلك، وكان هذا قبل أن ينزل قول الله تبارك وتعالى: «وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ » [التوبة:٨٤]، ففعل النبي صلى الله عليه وسلم ما طلبه عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول منه، فاستخرجه وألبسه قميصه، ونفث فيه من ريقه واستغفر له، ولما جاء عمر وقال: يا رسول الله! تستغفر له وقد قال كذا يوم كذا وكذا؟ فقال: (أخِّر عني يا ابن الخطاب ! إني خُيرت فاختَرت) يعني: أن الله قال: «ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ »[التوبة:٨٠] (صحيح البخاري ١٣٦٦)

فما دام أنه لم يكن هناك، نهي وثَمَّ جبر لخاطر الابن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول وهو رجل مؤمن؛ فلا مانع من جبر الخاطر وتهدئة المشاعر، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أخر عني يا ابن الخطاب !) إلى أن نزل قوله تعالى: «وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ » [التوبة:٨٤]، فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد.

ومن مراعاة الأحاسيس أيضاً: قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا). [صحيح البخاري: ١٣٩٣]. فسبّ الأموات فيه أذى للأحياء، ولذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الأموات مراعاة لأحاسيس الأحياء، والله تبارك وتعالى أعلم.

اللهم! إلا إن كان هذا الميت قد سنّ سنة سيئة في المسلمين، فحينئذ يُذكر للتحذير منه، كما قال تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ » [القصص:٨]، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار). [متفق عليه]. يعني: أمعاءه، إذ هو أول من سيب السوائب، فكان يأتي إلى الناقة فيشق أذنها ويقول: هذه سائبة، أي: متروكة للآلهة لا تُقرَب بسوء، ولا يُنتفع بها ولا بلبنها، ولا بأصوافها ولا بأوبارها.

فالشاهد من ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر

عمرو بن لحي؛ لكونه سيَّب السوائب، وذكر أنه رآه يجر قصبه في النار، وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: «تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ» [المسد:١-٢]، وعليه: فإن لمسألة سب الأموات فقهاً، وأن الأصل عدم سب الأموات، اللهم إلا إذا دعت ضرورة لسبهم ولبيان أحوالهم؛ لكونهم سنوا في الناس سنناً سيئة، فحينئذ يُذكرون بمساويهم؛ حتى يحذرهم الناس، ويحذروا سننهم، والموفق هو الله سبحانه وتعالى.

أما إذا لم تكن ثمّ حاجة إلى ذكرهم بسوء، فحينئذ يضرب الذكر صفحاً عنهم، قال فرعون لموسى- على نبينا وعليه السلام-: «فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى» [طه:٥١-٥٢]، وقد قال عدد من العلماء لما سُئلوا عن الخلافات التي دارت بين الصحابيين الكريمين علي ومعاوية رضي الله عنهما، قالوا: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [البقرة:١٣٤].

ثانيًا: مراعاة المشاعر والأحاسيس بمراعاة القدرات:

من مراعاة المشاعر بمراعاة القدرات قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إني أدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي، فأخفف من شدة وجد أمه عليه)، فيخفف النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة؛ بسبب بكاء الصبي شفقةً عليه وعلى أمه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما صلى بالناس صلاة العشاء، وأطال في الصلاة إذ استفتح بالبقرة، فانفض رجل من خلف معاذ وفارقه، وأتم صلاته وحده، فبلغه أن معاذاً نال منه، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوه إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفتانٌ أنت يا معاذ؟! أفتانٌ أنت يا معاذ؟! أفتانٌ أنت يا معاذ؟! من صلى بالناس فليخفف؛ فإن من ورائه الضعيف والسقيم وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما يشاء)، أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: مراعاة المشاعر والأحاسيس لدفع الشكوك:

١- بدفع الشبه :

من مراعاة الأحاسيس والمشاعر أيضاً: قول النبي صلى الله عليه وسلم لدفع الشكوك عن شخصين من أصحابه: (على رِسْلكما! إنها صفية)، فقد جاءت صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم تزوره في معتكفه، فمكثت عنده ساعة، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم يردها إلى بيتها، وكان بيتها قريباً من دار أسامة بن زيد، فرآها رجلان من الأنصار فأسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (على رِسْلكما إنها صفية !) فقالا: سبحان الله! وشقّ ذلك عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً -أو قال: شرّاً- فتهلكا).

٢- بتجنب النجوى:

من مراعاة الأحاسيس والمشاعر أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه) متفق عليه.

يقول العلماء: إذا كنتم خمسة فلا يتناجَ أربعة دون الخامس، وإذا كنتم عشرة فلا يتناجَ تسعة دون العاشر، كل ذلك لدفع الشكوك عن المسلمين، ولمراعاة مشاعر المسلمين وجبر خواطرهم، لكن إن دعت ضرورة إلى التناجي حينئذ يُتناجى بالقدر الذي تدعو إليه الضرورة، وإلا فَرب العزة يقول: «إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ» [المجادلة:١٠]، وقد ناجى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة في حضور أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وعنده سائر أزواجه أيضاً، فخصَّ فاطمة رضي الله تعالى عنها بسرٍّ، فسألتها عائشة رضي الله عنها عن سرّ النبي صلى الله عليه وسلم فلم تُبح لها به، ثم لما مات صلى الله عليه وسلم أباحت لها به، لدفع الشكوك عن عائشة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: مراعاة المشاعر والأحاسيس بترك بعض الأمور الشرعية لدرء المفاسد وتأليف القلوب:

من مراعاة المشاعر أيضاً: قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لـ عائشة: (يا عائشة ! لولا أن قومك حديثو عهد بكفر؛ لنقضت الكعبة ولبنيتها على قواعد إبراهيم، ولكن أخشى يا عائشة ! أن تنكر قلوبهم)[صحيح مسلم١٣٣٣].

فهذا باب يجب أن يُراعَى، ألا وهو مراعاة الأحاسيس والمشاعر والقدرات، ودوماً الموفق من وفقه الله، وفقنا الله وإياكم لكل خير، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وسلم.

الآن

مفاجأة سار[ة]



موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزكّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ٢٥ جنيها فقط



23936517

هدية التوحيد

١٤٣٥هـ

جماعة أنصار السنة المحمدية

(تأسست عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م)

١- الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب الصحيح الصادق الذي يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة .

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم والسنة الصحيحة - ومجابهة البدع والخرافات ومحدثات الأمور .

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوفق رباط : عقيدة وعملاً وخُلقاً .

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله ؛ فكل مشرّع غيره في أي شأن من شئون الحياة معتد عليه سبحانه منازع إياه فى حقوقه .

	أحد	اثنين	ثلاثاء	أربعاء	خميس	جمعة	سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	أربعاء	خميس	جمعة	سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	أربعاء	خميس	جمعة	سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	أربعاء	خميس	جمعة	سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	أربعاء	خميس	جمعة	سبت	أحد
محرم (١)		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠					
Nov (11)2013 Dec (12)2013		4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	1	2	3					
صفر (٢)				١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩				
Dec (12)2013 Jan (1)2014				4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	1				
ربيع الأول (٣)					١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠		
Jan (1)2014					2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31		
ربيع الثاني (٤)							١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	
Feb (2)2014 Mar (3)2014							1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	1	
جمادى الأولى (٥)	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠						
Mar (3)2014	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31						
جمادى الآخرة (٦)			١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩					
Apr (4)2014			1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29					
رجب (٧)				١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠			
Apr (4)2014 May (5)2014				30	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29			
شعبان (٨)						١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩		
May (5)2014 Jun (6)2014						30	31	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27		
رمضان (٩)							١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
Jun (6)2014 Jul (7)2014							28	29	30	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27
شوال (١٠)		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠					
Jul (7)2014 Aug (8)2014		28	29	30	31	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26					
ذو القعدة (١١)				١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩				
Aug (8)2014 Sep (9)2014				27	28	29	30	31	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24				
ذو الحجة (١٢)					١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠		
Sep (9)2014 Oct (10)2014					25	26	27	28	29	30	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24		

فصل الخريف — فصل الشتاء — فصل الربيع — فصل الصيف — إجازة نهاية الأسبوع

اليوم الوطني — إجازات الأعياد — إجازات المدارس — نهاية الدراسة لعام [illegible] — بداية الدراسة لعام [illegible]